د. كلود يونان

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

«الحركة السفسطائية نموذجاً»

بحث في فلسفة التضليل الكلامي الدعائي الإعلامي السياسي



دار النهضة العربية


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

(الحركة السفسطائية نموذجاً)

دكتور كلود يونان

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي

(الحركة السفسطائية نموذجاً)

بحث في فلسفة التضليل الكلامي الدعائي السياسي

الإهداء

الى روح والدي الياس

والى والدتي جوليات

تقديم

يسرّني أن أقدّم للقرّاء، لا سيما منهم الذين تستهويهم الفلسفة ومسائلها المعرفية والحياتية، كتاب الدكتور كلود يونان.

«التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي (الحركة السفسطائية نموذجاً)».

الكتاب كما يحدّده الكاتب في عنوانه: **بحث في فلسفة التضليل الكلامي الدعائي الاعلامي السياسي.**

أسعدني الحظ بأن رافقت مسار المؤلّف منذ كان طالباً في قسم الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية، ومن ثم اثناء اعداده بإشرافي أطروحة دكتوراه فئة أولى في الفلسفة والعلوم الانسانية في جامعة الروح القدس ـ الكسليك، في موضوع التضليل عينه، وهي المادة الأساسية التي أدّت إلى مجلّد أول بعنوان **«طرق التضليل السياسي»**، ومن ثم إلى هذا المجلّد في التضليل الكلامي وآلياته.

قبل الدخول في صلب محتوى الكتاب، أودّ الاشارة إلى أنه ثمرة إرادة فذّة وبحث دؤوب وتفكير شخصي معمق إذ أشبعه بحثاً متناولاً بالتحليل طرق التضليل السياسي ومن ثم التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي.

لم يغب عنه حتى التضليل في عالم الحيوان فإذا به يستعرض بعض معالمه على هذا الصعيد قبل أن يتطرّق إلى سائر مظاهره على صعيد الفكر الانساني بعامة، انطلاقاً من فلسفات الشرق القديمة وصولاً إلى ما يشكل المضمون الأساسي لهذا الكتاب، الا وهو تحقّقات التضليل في الفلسفة اليونانية لا سيما في الحركة السفسطائية وطرق التضليل الكلامي عند أهم أعلامها. على أن غوص الكتاب

إلى عمق الحركة السفسطائية وكشف أساليبها واماطته اللثام عن آلياتها لا تقتصر على حقبة الفلسفة اليونانية، بل ترتكز عليها لتناول التضليل الكلامي المعاصر وطرقه. لا يشكل هذا الانتقال جِدَّة فحسب، بل يجعل البحث الفلسفي هادفاً إلى معالجة قضايا معاصرة بعمق وفعالية. فضلاً عن هذا الوصل بين البحث الأكاديمي والحياة في تجلّياتها المعاصرة، يلفت الانتباه اتساع حلقة الجمهور المعني بقراءة الكتاب والافادة منه. ويشكل هذا الكتاب، بحثاً أكاديمياً يتوجه بادىء ذي بدء إلى الاختصاصيين في الفلسفة والعلوم السياسية والاجتماعية، ومن ثمّ إلى رجال السياسة وقادة الرأي والأحزاب السياسية والإعلاميين على أنواعهم، فهو ليس بمغلق على سائر القرّاء، لأن التضليل واقع يزداد اتساعاً وفعالية بازدياد التواصل بين البشر وانتشار العولمة وما يواكبها من أنماط اقتصادية موحّدة، وممارسة إعلامية دعائية. كيفما يتحرّك الانسان في هذا العصر، يتعرّض لحملات دعائية تعمل على الترويج لمصنوعات ومنتوجات تحاول اقناعه بشرائها، ويشعر في الوقت عينه بأنه هدف تتركز على اغرائه وكسبه وتسييره سياسات وايديولوجيات ومواقف تحاول دفعه إلى تبنّيها والانحياز لها. أهو يقرأ صحيفة أو مجلّة أو كتاباً، أم يشاهد برنامجاً متلفزاً أم يصغي إلى برنامج سمعي! أهو يتواصل مع أيٍّ ممن يتعايش وإياهم ويتشارك وإياهم المصير والكيان والتفاصيل الحياتية على أنواعها! أهو يقوم بأي نشاط سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو ديني أو إعلامي أو سياحي...، أم هو يبحث عن الخير والحقيقة، في أيٍّ من هذه المواقع والمواقف، وفي أيٍّ من هذه المناسبات اليومية، بل الآنية، في أيٍّ من الأحوال والأعمال، هو دائماً مستهدف يثير شهية المضلّلين (بكسر اللام) على أنواعهم فينقضّون عليه ويشبعونه استدراجاً واقناعاً واستغلالاً، تحت ستار الارشاد إلى ما يُبرَز على أنه صواب والإبعاد عمّا يوصم بأنه سراب.

فالتضليل يحاصرنا في كل آن ومكان، في الحوانيت والمعارض وصالات

المبيع والمصانع، عبر اليافطات والدعايات التي تحتلّ الساحات وجوانب الطرقات، في الخطب النارية، في الاتهامات والردود عليها التي تتبارى على المنابر وشاشات التلفزة، في العنف الكلامي والإلزام بمنطق القوة على أنه المنطق الحق، في أحابيل الاغراء والاغواء والكذب والرياء، في اختلاق الاشاعات والدعايات المغرضة، في الخداع والتمويه والتعمية وسائر أنواع التمظهرات والتكيّف، في تبريرات المسؤولين ووعود القادة الانتهازية والنفعية المتسترّة بالخير العام والاصلاح ومحاربة الفساد، والداعية إلى غد أفضل إذا ما أخذ المشاهدون والمستمعون أو الناخبون بالرأي المطروح، في كل ما يُخطط لاجتذاب الناس وسَوْقهم عشوائياً وآلياً تنفيذاً لغايات ومآرب ومصالح... والمؤسف أن معظم هذه المخططات ينجح. ولا حاجة للبراهين على فاعلية آليات التضليل المستخدمة. يكفي أن نتبيّن حجم الانصياع والانسياق، ومدى التحزّب الأعمى، ليس بين العامة فقط، بل في صفوف المثقفين والأكاديميين معلّمين وطلاباً وأصحاب المهن المتنورين كالأطباء والمهندسين والمحامين على سبيل المثال لا الحصر، ناهيك بالمرجعيات والفعاليات المفترضة على الصعد الدينية والسياسية والاجتماعية والنقابية، فالتضليل سيد الكلام ومحرك المواقف وضمانة المواقع، وما أصعب مهنة الباحثين عن الحقيقة!

أهمية كتاب الدكتور كلود يونان أنه يصبّ في سبيل السعي إلى الحقيقة، بارشاده إلى ما ينتقص منها أو يشوّهها. فهو يتناول بالتحليل والتمحيص محاولات السيطرة على الرأي، وما أكثرها في مجتمعاتنا هذه الأيام!

في كل المجالات نشهد زحمة آلهة كذبة بأزياء سياسية ودينية واجتماعية تزعم أنها على حق وأصالة، في حين يدل الستار على زيفها وتحاط بهالات من المثل والقيم، جذّابة براقة. السلطة والوجاهة والجنس والمال محطّ أنظار وطموحات وأطماع تهون في سبيل الحصول عليها خطوات ليس أقلّها تخدير العقل وشلّ الحسّ النقدي. ومن يقع في شباكها يستسلم للمنطق الخاص الاستنسابي المتحكّم

بالسعي إليها. لا يزعجه أن تستعبد طاقاته الفكرية وتستخدمها لمصلحتها، بل أن تنزل برقعاً أمام ناظريه وحجباً يعتاد على رؤية العالَم من منظارها. من هنا تنبع الفائدة التي يستطيع كل قارىء للكتاب جَنْيَها. من غايات الفلسفة الأساسية الإرشاد إلى الحقيقة، وإنماء الحسّ النقدي لدى طلاّب هذه الحقيقة. بتركيز المؤلف على التضليل وطرقه وآلياته يقوم بعمله كفيلسوف، بل كمحام مدافع عن الحقيقة، حريص على كشف كل زيف أو تزوير يحيط بها، ويسهم في ابراز أهمية الفكر الناقد الواعي.

بورِكَ للكاتب الصديق هذا المولود الجديد، وهنيئاً للقرّاء بهذا الانجاز الفلسفي الكفيل بكشف التضليل والمضلِّلين (بكسر اللام) والتنشئة على الحسّ النقدي الذي لا بدّ من أن يواكب كل بحث عن الحقيقة، أكاديمياً كان أم حياتيّاً. والأمل كبير في أن يستمرّ العطاء لدى الكاتب دفاعاً عن الحق أمام أقواس العدالة، أو في معمعة التنافس السياسي واتساع وقع التضليل الكلامي، وبروز الحاجة الماسة إلى أصوات تنادي بالحقيقة بتجرّد وموضوعية وتحصّن الساعين إليها بمنطق مضمون الأساليب والطرق. ليتنا نستطيع على خُطى الرسل والأنبياء أن نطرد الباعة والتجار من الهيكل، فنُنزل الأوثان والأصنام عن عروشها ونَكْفُر بأحابيل الشيطان المجرّب وأضاليله! ليتنا نتوصّل إلى كشف التضليل أينما يحصل فنعبّ من الحقيقة دونما خوف أو وَجَلٍ أو انحراف!

البروفسور انطوان فارس نجيم

المقدمة

- 1 -

عندما درست الفلسفة في الجامعة اللبنانية ، وبخاصة مادة " الفلسفة اليونانية" تطرقنا الى الحركة السفسطائية عرضاً ، وبعد ان حاولت التعمّق العامودي في الفكر الفلسفي والسياسي عند اليونان ، اكتشفت الفلسفة السفسطائية ، هذا الكنز الفكري الذي كان له الفضل المهم بتأسيس الفلسفة المعاصرة بشقّها البرغماتي المنفعي ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، الفلسفة البرغماتية التي تناولها السفسطائي بروتاغوراس ، أصبحت من المذاهب الفلسفية العالمية المدرّسة عالمياً وبخاصة في اميركا والمدارس والجامعات الأنغلوسكسونية ، أما " فلسفة القوة " التي تناولها الفيلسوف نيتشيه عندما تكلم على إحدى تجلياتها المتمظهرة بـ" السوبرمان" ، تبين أنها ليست إلا إستنساخاً متطوراً " للمترون انثروبس " أي " الإنسان المسيطر" الذي تناوله برتاغوراس عندما عالج فلسفة القوة .

- 2 -

عند مناقشتي للدكتوراه في الفلسفة والعلوم الإنسانية ، وهي بعنوان: (التضليل في الصراع السياسي) وذلك في جامعة الروح القدس - الكسليك - عام 2005 وضعت على سلّم الإشكاليات تساؤلاً مفاده : هل ان للتضليل فلسفة ؟ كما للسياسة فلسفة وللتاريخ فلسفة وللقانون فلسفة ؟ وهل ان بعض الإتجاهات في الحركة السفسطائية هي إتجاهات فلسفية ؟ وما هي علاقتها بالتضليل ؟ فكان

الجواب على جملة الإشكاليات هذه، مجموعة من الإثباتات.

- ٩ -

لقد أثبتت بالمنهجية العلمية والفكرية والبحثية، العناصر المكونة لفلسفة التضليل وطرائقها ، وأعطيت البراهين العقلية والحسّية أن بعض الإتجاهات السفسطائية هي إتجاهات فلسفية ، وان للتضليل فلسفة ، وان بعض الإتجاهات السفسطائية كان لها الفضل المتميّز بالمساهمة في تأسيس " فلسفة التضليل " وخاصة "التضليل الكلامي" وفلسفة الدعاية والإعلام ، بالطبع مع عدم إنكار الإسهامات الفكرية والعلمية العظيمة، لكثير من الفلاسفة والمفكرين والإستراتيجيين الذين أغنوا "فلسفة التضليل " من تراثهم ، المؤيد منهم للتضليل أو المواجهة له .

- ١٠ -

والقول ان بعض الإتجاهات السفسطائية كان لها الفضل الكبير في إطلاق فلسفة " الدعاية والإعلام "، لهو قول مدعَّم بالشواهد الفكرية والتاريخية . فإحدى أقدم مدارس الخطابة والبلاغة والدعاية أسسها إسكراتوس أو (إيزوقراط) السفسطائي، وسمّيت بالمدرسة الإسكراتية ، هذه المدرسة لقّنت الساسة اليونانيين فنون الخطابة والبلاغة والدعاية، وأساليب الديماغوجية والسيطرة الكلامية على الناس . أما معلم إيزوقراط، غورجياس فهو الذي شرح علاقة "اللوغوس الكلامي" ب " الذوكسا" أي (الرأي) . وقد تطرّق بتفصيل عن آليات سيطرة اللوغوس الكلامي ، على الرأي أكان فردياً أو جماعياً ، وصّف خصائص اللوغوس الكلامي ، معتبراً اياه رمزاً للقوة وللسلطة والسيطرة وللسحر والإغواء والإجتذاب والتضليل بتمظهراته كافة . بعكس (الذوكسا) الرأي المتشكل من الظن غير المتيقّن ، ومن العجز ، وعدم القدرة والتناقض ، لقد أعلن غورجياس

وأثبت سيطرة الكلام على الرأي ، فالكلام هو " الديناميكية المتحركة " إغرائية كانت أم تحريضية ، تفرض إرغاميتها على الرأي تؤثر فيه وتتلاعب به ، تقنعه ، تسحره ، تخيفه ، تجتذبه وتضلّله . اللوغوس الكلامي في عصرنا الحاضر يتمثل بسائر وسائل الدعاية والإعلام حيث يحصل استخدام واستعمال الكلام بتمظهرات مختلفة مقروءة ، مكتوبة ، متلفزة وعبر شبكات الأنترنت ، والذوكسا (الرأي) يمثل الرأي العام ، والرأي الفردي والرأي العالمي وسائر أوجه الآراء وتنوعاتها .

تمهيد

ليس التضليل الكلامي السلاح الوحيد في عمليات الصراع السياسي . بل هو إحدى أدواته الهامة . التضليل الكلامي له قوة جبارة لأنه يركن الى الكلمة ومفاعيلها ، لكون الكلمة تسيطر على المعاني والمفاهيم .

المعنى لا يولد في المجتمع من دون الكلام ، ذلك ان هناك تفاعلاً بين الكلمة والمعنى . ودراسة التضليل الكلامي وتمظهراته في الخطاب السياسي الملفوظ أو المكتوب ، يعني دراسة للعقل منتج هذا التضليل . ودراسة الكلام تعني دراسة للعقل الذي عبّر عن مكنوناته بواسطة هذا الكلام ، فمن خلال دراسة التضليل الكلامي ، يمكن الكشف عن طرق التفكير التي يستخدمها المضلّلون ، كما الكشف على تحركات هذا التفكير في الدلالات عن النوايا والخفايا والخطط والقدرات والمواقف ، كما يمكن ايضاً تفكيك الآليات العقلية التي يستعملها التضليل الكلامي في تحقيق ذاته .

تبدو طرق التضليل الكلامي كثيرة ، وآلياته متعددة ومتطورة مع الحداثة والعصر . ويستخدم التضليل الكلامي المبالغات الصورية ، وينتهز فنون الشعر والخطابة ، يقعّد أسسه على الذاتية الأهوائية وعلى الخيال الجامح ، وعلى الإيحاءات إغوائية كانت أم عنيفة ، الكلام المضلّل تنتهزه الحروب الدعائية والنفسية لقتل النفوس وتحقيق الانتصارات ، أما السلاح الإيديولوجي الذي يستعمل سلطان الكلام ويتقنّع به ، فإنه يوازي بمفاعيله السلاح النووي والذري. الصراع الإيديولوجي يركن الى المقارعات الكلامية والفكرية للوصول الى النصر السياسي. فلا يمكن

القضاء على عقيدة إلا بعقيدة أقوى منها ، ولا يمكن مواجهة ايديولوجيا إلا بواسطة ايديولوجيا أمضى منها ، وما العقائد والإيديولوجيات إلا انتاج فكري يتمظهر بواسطة الكلام .

وفي عصر " الثورة المعلوماتية " ، نعيش " الصراع المعلوماتي " عبر شبكات الانترنت " ، تلك التقنيات التكنولوجية المتطورة ، تركن في شاشاتها المتسللة، عابرة الأمكنة ، الى المعلومات المتموضعة في " الكلمات " ويحصل الصراع السياسي عبر هذه الوسائل ، بواسطة " الكلام " الذي ينتهج ، في كثير من الأحيان التضليل، منهجاً له .

وعلى الرغم من التطوّر التكنولوجي الهائل ، فإن قواعد كثيرة ومشتركة ما زالت تربط التضليل الكلامي المعاصر بالتضليل الكلامي القديم ، فالتضليل الكلامي في البولِس (Polis) اليونانية كان موجّهاً الى المكونات السيكولوجية الغرائزية والعقلية للجماهير ، والتضليل الكلامي المعاصر يتوجه ايضاً الى الجماهير . الطبيعة الانسانية واحدة ، تكاد تكون هي هي، أمس واليوم وغداً ، لأن مكونات الجبلة الانسانيةهي ذاتها في كل مكان وزمان .

إننا في هذا الكتاب نكشف عن وجه مغمور في الفكر الفلسفي ، وبخاصة الفكر الفلسفي السياسي والمتمثل " بتراث الفكر السفسطائي " الذي يعتبر من ابرز مصادر " فلسفة التضليل السياسي" وخاصة "الكلامي". وقلنا فلسفة التضليل السياسي، لكون الفلسفة لم تعد كما يقال الكثير حولها على انها " محصورة في الماورائيات . والمنطقيات الجوفاء ، والنظريات الكونية التي طغت على مضامينها لقرون خلت ، إنها أمست قابضة على ثنايا الواقع ، عبر العلوم الإنسانية، سياسياً واقتصادياً ، وإجتماعياً ، وثقافياً. لم تعد الفلسفة انساقاً متمذهبة ، ولا أفكاراً ممنهجة ، إنها القول يمكن ان يقال في مقابل واقع يمكن ان يتطور بمزيد من الوعي والاندفاع نحو الممكن حصوله . فباتت هكذا مهنة فكرية نمارسها بإنتاج مفاهيم

وأفكار وطرق تنسجم مع بيئة أو ظرف أو حياة "(*)

لم يعد يُراد بالفلسفة فقط ، البحثُ في المعاني والحقائق والماورائية . إنما ينبغي على المبدعين فيها ، الانحدار لمعرفة المعاني والحقائق الواقعية والظواهر الإنسانية. فمهمة الفلسفة لا تنحصر في التأمل فحسب ، بل تنطلق منه لملاقاة الواقع ، وإدراك الظاهرات والحقائق الإنسانية المنغمسة على أرضية واقعية . لقد رأى أفلاطون قديماً ، ان الغاية من الفلسفة والتأمّل هي السياسة ، موصياً بوصل التأمل بالتجربة والمشاركة في الحياة العملية ، حيث قال : " يجب ان لا نتيح للفلاسفة ان يقضوا حياتهم في التأمّل والدرس ، بل نُلزمهم بالانحدار من أعالي التأمّل، الى الحياة العملية والى مشاركة الشعب في حياته" . فدعوة الفلسفة ، لا تصبح فقط في تكديس المعارف التجريدية ، والبحث في المطلقات ، بل تهدف الى التغلغل في حياة الناس ، وفي تفصيلات عيشهم ، وكيفيات مسلكياتهم ، الفلسفة يجب ان تكون عضد الإنسان لا عقبة في وجهه ، هدفها حل معضلات الحياة ، وتفكيك أسرارها ، وتبسيط معطياتها ، انها موجّهة الى خدمة الإنسان وليست لتعقيده . وإذا كان هدف المتفلسف التأمل فقط، يكون " كالمندوسيّ الصوفيّ الذي لا غاية له في الحياة إلا تركيز بصره على سرّة بطنه "(**).

انطلاقاً من هذا الموقف العملي لا النظري فحسب ، فأنه لا يمكننا إعطاء الفلسفة تحديدات حصرية ، لأن ذلك يؤدي الى تضييق نطاق فعاليتها، ذلك ان المحدودية، تتناقض وطبيعة الفلسفة المنفتحة ، الجامعة ، الشاملة البعيدة عن الإستئثار والمنع .

(*) "بعض ما جاء في مطالعة د. جيرار جهامي عام 2005 في جامعة الروح القدس - الكسليك عند مناقشة اطروحتي لنيل الدكتوراه فئة أولى في الفلسفة والعلوم الإنسانية"

(**) قول للمفكر ستيانا (جورج) فيلسوف وكاتب اميركي (1863) ، من كتاب " قصة الفلسفة من افلاطون الى جان ديوي ، ترجمة فتح الله محمود المشعع ، مكتبة المعارف - بيروت ، 1975 ، ص: 614.

هذه الرؤى المتقدمة في مفهومية الفلسفة المعاصرة ، كان قد سبقنا إليها السفسطائيون الذين ذخّروا الفلسفات المعاصرة من ذخائرهم الفكرية القيّمة في شتى المجالات الفكرية والواقعية .

وعلى الرغم من ان إتجاهاً كبيراً في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي وسم السفسطائيين بأنهم "المضلّلون" و "معلموا التضليل "، فإن هذا الوسم لا ينسحب على السفسطائيين كافة ، بل على بعض أهم اتجاهاتهم الفكرية المتمثلة ببروتاغوراس وغورجياس وإيزوقراطس؛ بالرغم من إنجازاتهم الفكرية العظيمة.

لقد وضع غورجياس قواعد التضليل السيكولوجي عندما كشف ازدواجية الشعور في النفس (الاميفالونس النفسي) ، ووضع قواعد التلاعب به وتوجيهه بواسطة اللوغوس الكلامي . وكذلك وضع إيزوقراطس قواعد التضليل الكلامي عبر الخطابة والتكيّف الكلامي. أما بروتاغوراس ، زعيم الحركة السفسطائية ، فهو المساهم في تأسيس التضليل الكلامي الموجّه الى العقول، الذي استعمل الجدلية الكلامية " الأرستيكية" التي تقوم على البهلوانية اللفظية والقياسات المموّهة التي لا تثبت شيئاً ، غايتها الإفحام والتسلط باستعمال قوة الكلام . وجدلية " الانتيلوجي " القائمة على الخطاب الكلامي المزدوج المعاني، فحول كل شيء يوجد خطابان يتناقض واحدهم مع الآخر . وهنالك الكثير من طرق التضليل التي أسّسها السفسطائيون.

ان " الدعاية الاعلامية " تقوم على أساسات فلسفية عريقة بجذورها في الفلسفة السفسطائية ، حيث نجدها عند السفسطائي غورجياس الذي أسّس منظومة فلسفية متكاملة حول " الذوكسا " أي الرأي . وعلاقته " باللوغوس الكلامي " والذي استقرأناه من خلال الآليات القووية (التي تستعمل القوة) التي مارسها اللوغوس الكلامي على الرأي ليضلّله ويقوده . وقد سُمّيت هذه الطريقة " البسيكاغوجيا " ، أي " فن قيادة النفوس " بواسطة الإقناع الكلامي؛ وهي من

أهم وسائل الحرب السيكولوجية المستعملة بشدة في عصرنا الحالي .

إن السفسطائي غورجياس ، كان له الفضل في وضع النظريات المهمّة في علم الاستراتيجيا من حيث الآليات الصراعية غير المادية ، لقد تكلّم على الحرب الموجّهة الى الأعداء باستعمال التهويل أو الإغواء بواسطة " اللوغوس الكلامي ". كما تكلّم على آلية إرهاب العدو بواسطة المشهد والصورة . وعدا ذلك ، اسّس لفلسفة انتهازية الزمان والمناسبة والاستفادة من الفرص السانحة .

ومن خلال البحث في موضوع التضليل الكلامي عند السفسطائي غورجياس يظهر لنا " اللوغوس الكلامي " بازدواجيته ، دواءً وسلاحاً فتّاكاً في آن واحد . يمكن استخدامه استخداماً مزدوجاً مماثلاً لما سمّاه غورجياس " الفارماخون " السم الذي يُستعمل لقتل النفوس . وفي الوقت عينه ، يمكن استعماله دواء للشفاء وتالياً ، فإن غورجياس كان أحد أهم مؤسسي منهج المداواة بالكلام في العلوم السيكولوجية المعاصرة ، الذي يستعمل " الكلام " لا الأدوية المستحضرة كعلاجات للأمراض النفسية .

ان فلسفة التضليل عند بعض الإتجاهات السفسطائية شكّلت أحد أهمّ المحفّزات التي ساهمت في الإنتاجية الفكرية عند افلاطون وأرسطو ، وهذا يخوّلنا القول بأنّ هذه " الفلسفة " نهضت تنظيراً وسلوكاً لدى زعماء الحركة السفسطائية . بروتاغوراس ، غورجياس ، وإيزوقراطس ، مؤسس المدرسة "الإسكراتية" المنسوبة إلى اسمه، وهذه الحركة كانت في صدام فكري مع التيار السقراطي الأفلاطوني الأرسطي . ومردّه، ذلك التناقض في الآراء والأفكار والمسلكيات ، والتضارب في المذاهب بين سقراط وتلاميذه . وبين السفسطائيين مؤسسي فلسفة التضليل السياسي ، الهادفين الى السيطرة والتسلّط على الشعب في البولس "Polis " اليونانية . إنهم " باعة علم الكلام" و" تجار الحقيقة ". " وباعة المعرفة " . " الذين مزجوا الحق بالباطل " و " زيّفوا الحقائق " و " ابرزوا

البهتان بثوب الحقيقة ". انهم المتملقون ، المداهنون ، المغالطيون ، النفعيون، المخاتلون، المخادعون ، المتكيفون ، المتقلبون ، الذين شوّهوا الأخلاق وأحلّوا منهج اللاعقلانية محل العقلانية ، والذين تلاعبوا بعواطف الشعب وبمصيره . كل هذه الصفات أطلقها أفلاطون وأرسطو على زعماء هذه الحركة وتلامذتها؛ هذا يعني أنّ فلسفة التضليل كانت المحفّز الأساسي لنشوء الفكر الفلسفي عند أفلاطون وأرسطو الذي مرّ بالمراحل الآتية :

- مرحلة الكشف عن " فلسفة التضليل " التي مارستها الحركة السفسطائية. وتضمّنت فضح هؤلاء وكشف قواعد التضليل لديهم .
- مرحلة دحض هذه القواعد وتفكيك آليات التضليل ومناهجه المستعملة من قبل هؤلاء .
- مرحلة المواجهة ، وقد بدأت عندما وضع افلاطون وأرسطو القواعد المعرفية والمنهجية والأخلاقية الثابتة لمواجهة فلسفة التضليل . ورمت قواعد الأخلاق التي وضعها أفلاطون الى مواجهة المبادئ اللاأخلاقية التي اعتنقها السفسطائيون ومارسوها . واجه افلاطون السفسطائيين الذين أطلقوا معادلة " الحق للقوة " " الحق للمال " " والحق للذة " . معتبراً ان هذه المبادئ تضليل للشعب وتدمير للعدالة التي هي في رأيه ، ليست منفعة الأقوى . والعلوم المنطقية التي وضعها أرسطو شكلت الأسلحة المنهجية لمواجهة الجدلية السفسطائية المضلِّلة (بكسر اللام) ، والخطابة المنهجية بمواجهة الخطابة الفارغة . فالتضليل السفسطائي الذي كان يمارسه السفسطائيون بواسطة الجدلية المموّهة ، حضّ أرسطو على جبه هؤلاء بالجدلية المنطقية التي أسّسها على القواعد المنهجية الصحيحة ، والتي بدورها ولّدت " علم المنطق " الذي أفاد العلوم الإنسانية وتلك المحضّة ، كما علوم الرياضيات .

- وهنا يمكن القول أيضاً، بأن التضليل كان أساساً في انطلاقة العلوم المنطقية . كما يمكن القول ان الفلسفة الأفلاطونية الأرسطية كان أحد أهم أهدافها، الكشف عن التضليل وعمّا هو وراءه ، وكذلك المشاركة في الحياة السياسية طعناً بالتضليل ومواجهة له.

الفصل الأول

هل الحركة السفسطائية حركة فلسفية

وما هي علاقتها بالتضليل؟

الفصل الأول

هل الحركة السفسطائية حركة فلسفية وما هي علاقتها بالتضليل ؟

أولاً ـ التصادم الفكري بين السفسطائية والإتجاه السقراطي الأفلاطوني الأرسطي

إن المشادات والمشاجرات بين الاتجاهات السفسطائية[1] والاتجاه السقراطي الأفلاطوني الارسطي، تولّدت نتيجة التناقض العدائي بين تيارين متضادين ومتواجهين؛ ومتضاربين في الأخلاقيات والسياسيات والمنطقيات، وفي شتى مجالات التفكير ومسلكية الحياة ومعيوشيتها في البولِس (POLIS) اليونانية.

هذه التصادمية الفكرية أدت إلى انتاجية جزء كبير من الإرث الفلسفي لدى التيارات المتصارعة. وهذه الإنتاجية تطورت من مرحلة الدحض والمواجهة. إلى مرحلة التركيز الفكري الفلسفي وتعميقه وتطوره. فكانت مؤلفات أفلاطون وحواراته، في بعض أهم اهدافها الرئيسية، تسعى إلى الرد على الاتجاهات السفسطائية، ومواجهة خطاباتهم المكتوبة والملفوظة والمسلوكة والممارسة في البولس اليونانية. لقد اتهمهم بأنهم ساهموا في نشر الفساد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي و«فتحوا مدارس الخطابة والبلاغة ودعوها مدرسة الفلسفة الحقيقية.

---

1 ـ أهم الاتجاهات السفسطائية: بروتاغوراس (420 - 500) - غورجياس (485 - 830) اوغرغيس ومن تلامذته: تراسماك، ولبكرفون، والسداماس وابزوقراطس او اسكراتس

وصوروا للشباب الاثرياء الطامحين إلى السلطة والثروة واللذة، ان علمهم هو الطريق الوحيد إلى المراتب والسيطرة فاندفع الشباب وراءهم إندفاعا مستميتا، فأفسدت هذه الثقافة المموهة الثقافة الحقيقية والقيم الإنسانية الحقيقية»[1].

وتابع ارسطو منهج معلمه أفلاطون في عملية الصراع الفكري والفلسفي مجاريا إياه المجاراة التامة وهذا ما يتبدّى لدى مطالعة حوارات تلك الفترة من حياته نظير حوار «المحرّض» و«في الخطابة» و«السياسي» و«السفسطائي» و«المأدبة» و«الغنى»[2].

ثانياً - الجدلية السفسطائية التضليلية وتأثيرها في انتاجية علم المنطق[3]

هل الاتجاهات السفسطائية أسهمت في نشوء علم المنطق وتقعيده على

---

1 ـ غيث جيروم، أفلاطون، جدلية الفساد والصراع الطبقي، جدلية المثل والمشاركة، جدلية الإصلاح والحرية والوحدة، المكتبة الشرقية بيروت، 1970، ص 108.

2 ـ أرسطو، في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدّم له وعلّق عليه، الأب أوغسطينس بربارة البولسي، ط 3، المكتبة الشرقية بيروت، 1980، ص 19.

3 ـ يعتبر ألكسندر ماكوفلسكي في كتابه تاريخ علم المنطق، أن هذا العلم نشأ انطلاقا من فن الخطابة وهو يقول: «قد ظهر المنطق أول ما ظهر داخل إطار فن الخطابة باعتباره نظرية البلاغة. وقد كانت بداياته كذلك سواء في الهند والصين القديمتين أو في اليونان القديمة أو روما أو روسيا. وإبتداءً من الكتاب الأول الذي يحمل بالإضافة إلى ذلك اسم «طوبيقا»، درس أرسطو مؤسس علم المنطق مشكلات المنطق في صلتها بنظرية الخطابة. وفي روما أيضاً كان المنطق مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالخطابة. وفي روسيا كان أول نسق أصلي في المنطق، وهو يعود إلى لومونوسف معروضاً في رسالته عن نظرية الخطابة البليغة. وهكذا نرى أن المنطق في البداية كان يعتبر وسيلة للتأثير في النفوس، وللبرهنة على سداد هذا السلوك أو ذاك وظل المنطق داخل فن الخطابة وجهاً تابعاً، يستهدف الوصول إلى الحقيقة بدرجة أقل من استهدافه إقناع السامع».

الطوبيقا : تعني تحديداً أحد أجزاء الخطابة (البلاغة). وهو أحد أقسام الأورغانون وموضوعه القياسات المنطقية والجدلية.

- ماكوفالسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق، نقله إلى العربية نديم علاء الدين، إبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، 1987، ص 9.

أسس صورية ثابتة ؟ طبعاً، ولكن هذه المساهمة لم تكن ذات طبيعة الانشاء والبناء والتقعيد والتنظيم فحسب ، إنها ذات طبيعة تحفيزية، تحريضية استفزازية، أثرت في بعض الفلاسفة أمثال ديموقريطس وأفلاطون وأرسطو وحرضتهم على المواجهة الواعية، فبعد التصارع بين هؤلاء والاتجاه السفسطائي حول المضامين الحياتية في الاخلاقيات والاجتماعيات والسياسيات برز التصارع والمواجهة في مضمار المنهجيات والوسائل والطرق والأساليب.

استخدمت الاتجاهات السفسطائية في خطاباتها السياسية أسلوب الجدل التضليلي، الذي لا تبتغي منه المنهجية الرصينة، أو علم المنطق المؤديين إلى الحقيقة. بل جدل يراد به التضليل والتدليس والخداع والتمويه، وسائر ضروب الغش. جدال يتلبّس اشكال المنطق. ليست الجدلية السفسطائية بعلم، إنّما هي مهارة وحرفة وبراعة، تهدف إلى التجادل والتنافس والتبارز، والتبرير من أجل التغلب على الخصم، ومضايقته او الاستهزاء به.

إن الجدل لدى بعض الإتجاهات السفسطائية، تم التطرق إليه ليس بهدف إنشاء منظومة منطقية متكاملة ومتناسقة، إنما في سياق إستخدامية وإنتهازية وتوظيف بعض القواعد المنطقية، في خدمة «البلاغة» و«الفصاحة» و«الإقناع» و«المجادلة» التي تهدف إلى التضليل من اجل الإنتفاع والنجاح، والتسلط في المجتمع والسياسة.

«كان بروتاغوراس أول من استخدم المحاورة التي يدافع فيها المتخاصمان عن وجهتي نظر متضادتين، وأول من طبق الطريقة التي سيستخدمها سقراط لاحقاً. طريقة إلقاء الأسئلة على من يجادله وإبراز خطأ إجابته، وقد إستهل بروتاغوراس مستهدفا تعليم فن البرهان، دراسة انواع الإستدلالات الإستنباطية بالطريقة التي سيعالجها بها أرسطو في «الطوبيقا» أي على صعيد

الأساليب المنطقية في القول الخطابي»[1].

فكانت آليات المواجهة الواعية العقلانية المنظمة، ضد الجدلية السفسطانية المضلّلة ، هذه المواجهة اسست في ما بعد لعلم المنطق «ان الجدل[2]، في مختلف جوانبه يحضر للمنطق»[3] «وقد توطدت دعائم المنطق بصفته علما للفكر، يؤدي إلى الحقيقة عبر انواع الصراع مع السفسطة بتأرجحاتها وألاعيبها اللفظية منذ ديموقريطس وأرسطو وفرض المنطق نفسه... باعتباره أحد عوامل تطور العلم والفلسفة»[4].

لقد تدرج المنطق المواجه للتضليل السفسطائي في تنظيم آليات المواجهة ومن خلال المواجهة المنظمة والمتدرجة، تأسست بعض قواعده، لقد استخدم المنطق عدة آليات ابتدأت بآلية كشف الأغاليط والمغالطات، وبعدها وضع معايير للتمييز الدقيق بين المقاييس الصحيحة وغير الصحيحة. وبواسطة هذه المعايير حصر المغالطات، ثم دحضها. وبعدها نظم الجدل ومنهجياته وقواعده، وانتقل من طور مواجهة تضليلات السفسطائيين إلى طور بناء ذاته، ليصبح علماً، فالانتقال حصل إنطلاقاً من «دراسة المجادلة إلى النظرية والتعقل الشكلي عموماً ... إلى المنطق... هذا هو التقدم الذي يقود من الطوبيقا إلى الهرمينيا والأنالوطيقا»[5]. وبذلك تكون الجدلية التضليلية السفسطائية قد أسهمت في بناء

---

1 - ماكوفالسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور ، ص 58.

2 - أول من تناول «الجدل» هو زينون الإيلي والميغاريون والإيليون، انظر في هذا الصدد بلانشي روبير، المنطق وتاريخه من ارسطو حتى راسل، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، 1980، ص 25 - 28.

3 - المرجع ذاته، ص 27

4 - المرجع ذاته، ص 9

5 - المرجع ذاته، ص 24

علم المنطق الذي ساهم في تأسيسه أرسطو. وعليه، «فإذا لم يعد من الممكن اليوم القول مثلما قال كانط إن المنطق ينتهي عند أرسطو، فعلى الأقل ينبغي الأخذ بالنصف الآخر من القول والتأكيد ان المنطق قد بدأ معه حقاً»[1].

يُعتبر ديموقريطس[2] وأفلاطون من ألدّ أعداء السفسطائيين، كان اتجاهه الفلسفي موجهاً ضد ممارسات السفسطائيين ومنهجياتهم ومسلكياتهم «لقد كان ... المؤسس لأول نسق منطقي في اليونان القديمة. فقد كتب رسالة خاصة في المنطق أو القانون تقع في ثلاثة كتب... كانت رسالة ديموقريطس في المنطق موجّهة ضد السفسطائيين الذين انكروا وجود الحقيقة الموضوعية»[3]. ومن اهم جدالاته معهم، جداله مع زعيمهم بروتاغوراس. يقول « فلو كان الحق كما يقول بروتاغوراس هو كل ما يظن أي انسان أنه صحيح، لترتب على ذلك إنكار دعوى بروتاغوراس هي أيضا، ففي الحقيقة بما أن كل ظن مهما يكن هو ظن. قد أعلنّا صوابه، فيكفي اذن ان يتقدم اي إنسان برأي يقول ان كل ظن ليس صائبا، لكي نتبين خطأ الرأي القائل ان كل الظنون صائبة»[4] وقد تابع أفلاطون في «ثياثوس» هذا النهج في دحض مقالات بروتاغوراس. وقد برهن ديموقريطس في جداله مع بروتاغوراس على «أن الحقيقة واحدة بالنسبة إلى الجميع وانها موضوعية»[5].

---

1 - المرجع المذكور، ص 28.

2 - ديموقريطس هو أحد مؤسسي المنطق الاستقرائي هو ضد نزعة الإرتياب والشك عند السوفسطائيين ومعرفتهم السطحية، التي تحضّ على إنكار الحقيقة تحت قناع البلاغة، ويَرجع إلى ديموقريطس مفهوم الحكم باعتباره صلة بين الموضوع والمحمول بإعتبار إفتراقهما وإنفصالهما. أو ما يسمى في لغة المنطق الحديث الوصل والفصل Conjonction, Disjonction.

انظر في هذا المعنى، ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور ، ص 60

3 - المرجع ذاته

4 - المرجع ذاته ، ص 60

5 - المرجع ذاته

لقد اعتبر أرسطو ان المنهجيات التي يستخدمها بعض الإتجاهات السفسطائية، منهجيات تضليلية، وقد أشار إلى هذه التضليلات في «أعماله المنطقية»[1]: «أن القياس السفسطائي قائم على المغالطة»[2] وقد سمّاها السفسطة والأغاليط» وهذا البحث هو «نقد للحجج السفسطائية ويقع في مقالتين، المقالة الأولى تعرّف الغلط وتظهر المغالطات. في القياس، سواء كان ذلك في مادته أو في صورته. والمقالة الثانية تبحث في حل هذه الاشكالات»[3]. وفي كتابه التحليلات الأولى «انالوطيقا الأولى، رأى ان الاستدلال السفسطائي يقوم على مقدمات كاذبة زائفة»[4] وسمى «البرهان المموه بالسفسطة»[5].

إن أرسطو، رغم مواجهته وتصادمه وتصارعه مع الاتجاهات السفسطائية، في شتى ميادينها، النظرية والعملية، يشير كتاب «تاريخ علم المنطق» إلى أنه قد تأثر جنبا ببعض طرائق البراهين وفنونها، التي كان يزاولها

---

1 - يقول بلانشيه في كتابه المنطق وتاريخه المترجم إلى العربية، مرجع سابق صفحة 37 : «وصلتنا أعمال أرسطو المنطقية على شكل مجموعة مرتبة في الظاهر، عن رسائل جرى جمعها تحت عنوان مشترك «أورغانون» أي «الوسيلة» وتبرير هذا الاختيار هو ان ارسطو كان يرى في المنطق علما ذهنيا إعداديا أكثر مما كان يرى فيه فرعاً من فروع الفلسفة، والحقيقة أن ترتيب هذه الرسائل وعناوينها ليسا من ارسطو، تأليف كتاب الأورغانون له تاريخ لا نعرف منه إلا جزءا يسيراً. وكذلك لم يرد لفظ «لوجيكا» في كتاب أرسطو ، وإنما كان ارسطو يستخدم لفظ التحليلات والعلم التحليلي، وربما كان اندرونيكوس الروديسي (هو احد شراح ارسطو) أول من استخدم هذا اللفظ بمعنى المنطق ثم استعمله شيشرون بمعنى الجدل "Dialectique" ثم الاسكندر الأفروديسي وجالينوس.» أنظر في هذا المعنى فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق التقليدي، دار الطليعة، بيروت، ط1979، ص 27.

2 ـ المرجع ذاته، ص 28

3 ـ المرجع ذاته، ص 35

4 ـ المرجع ذاته، ص 28

5 ـ المرجع ذاته، ص 29

بعض السفسطائيين، في ممارساتهم الجدلية والخطابية الإقناعية، التي أسست لاحقاً لعلم المنطق. «إن أنواع الاستدلالات الاستنباطية والتي تشكل المحتوى الرئيسي لطوبيقا[1] ارسطو،... قد أقامها قبله السفسطائيون بروتاغوراس، وغورجياس، وبروديكوس، وهيبياس وتراسوماك»[2].

ثالثاً - النزعات الفلسفية في الفكر السفسطائي وارتباطها بالتضليل

إنّ الحركة السفسطائية، رغم تبعثر نصوصها، وتشتت إنتاجها الفكري، وصعوبة فهمها، والتعمق في مضامينها الفكرية، والتعرّف إليها، على أنها «ليست بفلسفة» ولا تشكل مذهبا فلسفيا كامل التجانس والانسجام[3] رغم هذا كله،

---

1 - Topique ، أي الجدل وفيه يبيّن ارسطو القوانين التي بها تستقيم صناعة الجدل أنظر، فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 29

2 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور ، ص 58

3 - أ- حاول الباحث «ماريو انترستينر» "MARIO UNTERSTEINER" في أطروحته الفلسفية "السفسطائيون" "LES SOPHISTES" عبر إنجاز فكري ضخم، جمع الهيكل السفسطائي المبعثر، المشتت الضائع، وهذا ما دلّل عليه مقدم الترجمة الفرنسية "جيلبير رمير ديربه" "GILBERT ROMEYER DHERBEY" من جامعة السوربون حيث إعتبر أن المنظومة السفسطائية هي منظومة صعبة، نصوصها في غاية التشقق، وقد ماثل الهيكل السفسطائي بهيكل حيوان منقرض ما قبل التاريخ جرت محاولة لترميم هيكله.

ب - وقد ورد نص التقديم على الشكل التالي:

« إنها الهيكل السفسطائي في غاية الصعوبة، فالنصوص متجزأة بشكل كبير، وباستثناء غورجياس، نجدها ضئيلة ونادرة، ألا نجد نفسنا هنا ، كما بالنسبة لكامل الأدب ما قبل السقراطي في حالة مماثلة «للباليولوجيا» ؟

"Le corpus sophistique, est bien difficile: les textes sont extrêmement fragmentaires et même, exception faite pour Gorgias, pauvres et rares. Mais ne se trouve-t-on pas içi, comme pour toute la littérature présocratique d'ailleurs, dans un cas semblable à celui de la paléologie? UNTERSTEINER MARIO, ***LES SOPHISTES***, TRADUIT DE L'ITALIEN =

تعتبر الحركة السفسطائية في كثير من جوانبها الفكرية حركة فلسفية وفلاسفتها هم فلاسفة حقيقيون، إنهم واجهوا بواسطة نظرياتهم، المعتمدة لها طرقا خاصة المشكلات المعرفية والانطولوجية والاجتماعية المعاصرة لهم، حاملين لها الحلول الواقعية العملية.

عالجت السفسطائية في خطاباتها الملفوظة والمكتوبة والمسلوكة، السيكولوجيا والأخلاقيات، والسياسيات، واللغويات، وتقنيات الدعاية والرأي، بحثت في فلسفة التاريخ، وفلسفة القانون، وفلسفة السياسة وفلسفة التضليل السياسي التي إختبرتها بعض من هذه الإتجاهات، تنظيراً، تفكيراً، وممارسة. مؤصِلة ومؤسسة ومقعِّدة للتضليل السياسي، ولا سيما التضليل الكلامي بواسطة «اللوغوس».

رغم إختلاف إتجاهاتها، هنالك عوامل توافق وإنسجام، تربط فيما بينها. ومن اهم هذه العوامل «اللاعقلانية» و«اللامثالية» و«اللامنطقية» و«العدمية» و«الشكية» و«الإرتيابية»، و«البرغماتية» و«النزعة القووية» و«المنفعية» و«المصلحية» و«الانتهازية» و«النجاحية» و«النزعة النسبية في الاخلاق والمعرفة» «ونزعة انكار المعرفة الموضوعية». وكذلك يجري التركيز على إستخدامية اللوغوس الكلامي المضلِّل (بكسر اللام).

السفسطائيون جعلوا موضوع أبحاثهم الفلسفية الرئيسي الإنسان ونشاطه وعندهم تجيء مشكلات السياسة[1] والاخلاق ونظرية الدولة والقانون،

- ET PRÉSENTÉ PAR ALONSO TORDESILIAS. PARIS. J. VRIN. TI. p1. 1993.

● أن كلمة "Paléologie" "بالبولوجيا" يراد بها "Paléontologie" "بالبونتولوجيا" ومعناه العلم الذي يبحث عن البقايا المتحجرة للكائنات الحيّة.

1 - 1 - كان السفسطائي بروتاغوراس ينادي بمبدأ الحرية المتطرفة «وعن قبول غير مبهم بالمسلمة الديمقراطية العزيزة على بركليس، الذي كان صديقا لبروتاغوراس..» ■

وطرق أنظمة الحكم. إن الحركة السفسطائية، نشأت وترعرعت في المؤسسات السياسية اليونانية. وهذه المؤسسات ساهمت وسمحت بإنطلاقتهم، «يفترض للوصول إلى غزو السلطة من الآن وصاعداً، إمتلاك تام للغة ويعتمد على المحاججة البرهانية، فلا تعود المسألة تقتصر على التنظيم وحسب، بل على الإقناع والتفسير»[1]. كان الصراع بين الحركة السفسطائية والإتجاه السقراطي الأفلاطوني الارسطي، صراعاً حول «المفاهيم السياسية»، كالقوة والعدالة والقانون وصراعاً حول «القيم السياسية»، و«الأخلاق السياسية»، و«الممارسات السياسية»، و«الوسائل السياسية»، هذه الصراعات أدت إلى نشوء العناصر المكونة «للفلسفة السياسية».

إن القوة مظهر واقعي من مظاهر الحياة، ومكوّن أساسي من مكونات السياسة والعلاقات السياسية، وقد ساهمت الحركة السفسطائية في إعطائها ابعاداً

"Une acceptation non équivoque du postulat démocratique cher, à ce = Périclès dont Protagoras était l'ami"

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE* Paris, T 1, 1979, P.30 *POLITIQUE*, PAYOT.

ب – كان غورجياس يعمل في الحقل الدبلوماسي، وهو سفير بلاده في اثينا، انظر بهذا المعنى

BREHIER EMILE, *HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE*, PUF, 1980, p.73

ج – ايزوقراطس اسكراتس، أسس حوالي 930 ق.م. مدرسة الخطابة التي كانت تدرّس فنون الخطابة السياسية، انظر في هذا المعنى أرسطو، في السياسة ... المرجع المذكور، ص 10 - 11

"La conquête du pouvoir exige désormais la parfaite maitrise du langage - 1 et de l'argumentation; il ne s'agit plus seulement d'ordonner, il faut aussi persuader et expliquer ".

ROMEYER GILBERT, DHERBEY, *QUE SAIS -JE ? LES SOPHISTES*, P.U.F, 1985 P. 4, 5.

فلسفية، من حيث النظرية والتطبيق العملي، في المجالات القانونية والحقوقية والعسكرية والاجتماعية والنفسية والدعائية. وهذه المجالات الإنسانية الحياتية تشكل أهم المضامين الأساسية للسياسة. إن بعض الإتجاهات في الحركة السفسطائية أعتبر القوة آلية سياسية من آليات السيطرة النفسية والعقلية، بالإضافة إلى فعاليتها في السيطرة المادية ، بعض الإتجاهات السفسطائية دعت إلى تطبيق العدالة القووية، معتبرةً أن الحق الطبيعي هو حق الأقوى «فتراسماك تلميذ غورجياس يعلّم أن العدالة ليست سوى تلك التي تُربح الأقوى، وبالتالي التسليم بفرضية أن الحكومة ذات القوة الأكبر في المدينة (البولِس) تسِن قوانينها حسب مصلحتها الخاصة فالحكومة الديمقراطية تسن قوانينها الديمقراطية، والحكومة الطغيانية تسِن قوانينها الطغيانية»[1].

ويستخدم غورجياس «قوة اللوغس» "LOGOS" السحرية اللفظية الكلامية والنفسية للسيطرة والتسلط على عقول الجماهير ونفوسها ومعنوياتها، والتي سنتطرق اليها بالتفصيل. إن هذه النماذج وطرائق التفكير النظرية والعملية والتي اسست «لفلسفة القوة»، مهدت لمفهوم «القوة الوحشية الغاشمة» وإلى مفهوم سلطة «الكلمة القووية»، «ولقوة السيطرة على الرأي» «ولقوة الأنانية» «ولتأكيد الأنا» و«التعبير عنها بدون عوائق، وللإشباع الأقصى لغرائزها في السيطرة والمتعة» فإن السلطة ليست في الواقع إلا قوة صرفة، تخضع في ممارستها لمصلحة أولئك الذين نجحوا في الاستيلاء عليها.

---

1 - "Thrasymaque, disciple de Gorgias, enseigne que la justice n'est rien que ce qui profite au plus fort et qu'ainsi tout gouvernement détenteur par hypothèse de la plus grande force dans la Cité, établit des lois selon son propre intérêt: la démocratie des lois démocratiques la tyrannie des lois thranniques et les autres régimes de même".

CHEVALIER JEAN-JACQUES, ***HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE***. TI, p.32

لقد تطرّق بروديكوس إلى مسألة القوانين، القانون الطبيعي والقوانين الوضعية وقد إختلف ليكوفورن Lycophorn وألسيداماس Alcidamas وهما تلميذان لغورجياس، حول بعض المفاهيم القانونية والحقوقية، "الأول يفسّر وجود المدينة «البولِس» والقوانين بواسطة عقد أو «ضمان متبادل للحقوق» ذي إلهام وسائلي والثاني يجرؤ على وضع العبودية محل تساؤل: خلق الله كل البشر أحرارا، ولم تصنع الطبيعة اي عبد»[1] « في مؤلفه بروتاغوراس نسب أفلاطون، إلى هيبياس نظرات اصلية تتعلق بنسبية القوانين في المكان، أي حسب الشعوب والمدن»[2].

إن الاتجاه البرغماتي، وتفرعاته كالنفعية والوسائلية والمصلحية والانتهازية تأصّل في كثير من جوانبه على الإتجاهات الفكرية النظرية والعملية السفسطائية. البرغماتية التي تسعى إلى النجاحية، معتبرة ان الحقيقة تكمن في الواقع المفيد، وان الحقائق والقيم نسبية ومتغيرة، نجد اساساتها في الفلسفة السفسطائية. الهدف الاسمى للحركة السفسطائية «النجاح في الحياة الاجتماعية»[3] وفي السياسة،

---

1 - "Le premier explique par un contrat, par une "garantie mutuelle des droits" d'inspiration tout utilitaire, l'existence de la Cité et des lois. Le second ose mettre en question l'esclavage: "Dieu créa tous les hommes libres, la nature n'a fait aucun esclave".
CHEVALIER JEAN-JACQUES, ***HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE***. T1, p.33

2 - "Platon attribue à Hippias, dans le Protagoras, des vues originales sur la relativité des lois dans l'espace selon les peuples et les Cités"
المرجع ذاته، ص 31.

3 - "De réussir dans la vie sociale"
المرجع ذاته ، ص 30

«فبقدر ما يعتبره سقراط، على أن السياسة فن وبعد، فهي بالنسبة للسفسطائيين تُعتبر فناً له ذات طبيعة البلاغة، ويتأسس أيضاً عليها، فناً يبتغي تحصيل المال والسلطة والنجاح، في حين أن سقراط يرى فيها أحد أهم فروع السلوك الإنساني الذي يتبع الخير الحقيقي، المرتبط بموقف ما للنفس، وليس بالخيرات الخارجية»[1].

«السفسطائيون كانوا السباقين إلى تأسيس نظرية الخطابة والبلاغة، والفيلولوجيا وقواعد النحو، وكان بروتاغوراس وغورجياس وتراسيماك من أوائل الذين اهتموا بمسائل الدراسات اللغوية العملية، وقد خلق هؤلاء نظرية البلاغة»[2]. ساهمت الاتجاهات السفسطائية في بناية فلسفة اللغة إنطلاقاً من إستخدامها الفصاحة والبلاغة والخطابة، التي وظّفتها في عمليات الاقناع والجدال والنقاش والتلاعبات اللفظية القولية وفي عمليات التضليل السياسي. «فقد كرس بروتاغوراس لذلك مؤلفه «فن الإقناع». وقد أصبح شهيراً بفضل مهارته في تطبيق ذلك الفن. وكان يجوب بلاد اليونان ينظم المناقشات التي كانت تجتذب جمهورا غفيرا»[3]. «أما غورجياس أستاذ البلاغة ذو الشهرة غير العادية... فكان لديه شك عام حول إمكانية المعرفة العلمية التي تصل إلى أعماق الأشياء،

---

1 - "... d'autant plus que la politique, pour Socrate, est à la fois un art et davantage. Alors que, pour les Sophistes, elle était un art de même nature que la rhétorique et fondée d'ailleurs sur la rhétorique, un art qui procurait l'argent, le pouvoir, la réussite, Socrate voit en elle l'une des branches, ... de la conduite humaine, qui poursuit le vrai bien, lié à une certaine attitude de l'âme, et non les biens extérieurs".

المرجع ذاته، ص 35.

2 - انظر ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 58.

3 - المرجع ذاته، ص 55

إن ادعاء البرهنة علميا في نظره باطلٌ، فقد كان يجب الإكتفاء بالإقناع ومن هنا تبدو اهمية علم البلاغة بإعتباره أثمن الفنون ومصدر سلطة فريدة على الغير اي على القضاء وعلى الجمعيات السياسية»[1].

السفسطائيون شغلوا في عصرهم، فلاسفة التاريخ، بعدما فسّروه وأوّلوه بإتقان وجودة، وكانوا من أتباع الواقعية السياسية توافقوا فيما بينهم على مقاربة منسجمة مناهضة للمثالية، ركَّزوا أبحاثهم على الإنسان ونشاطه. «السفسطائية حوّلت الفكر من الإهتمام بالطبيعة، إلى الاهتمام بالإنسان... وجعلته موضوعا أساسيا للتفلسف، والتفكير قبل الموضوعات الأخرى»[2] وقد أسهمت بعض الاتجاهات السفسطائية بروتاغوراس وغورجياس، وايزوقراطس، في تكوين بعض قواعد «فلسفة الدعاية السياسية» وآليات السيطرة على الرأي، ومن اهم الفلسفات التي ساهم هؤلاء في بنائها وانشائها وتطورها، نذكر «فلسفة، التضليل السياسي» وهذا ما نريد ان نظهره كمصدر أساسي، من الأسس الفلسفية المهمة للتضليل السياسي، الذي لا يزال مؤثرا وفاعلا حتى تاريخنا المعاصر.

لقد أثّرت الفلسفة السفسطائية على كثير من الفلاسفة وعلى التيارات الفلسفية ونذكر على سبيل المثال هيغل «فإننا نرى هيغل يعجب بغورجياس، لأنه درس الجدل كما هو موجود في الفكر الخالص، أي أنه درس المقولات الخالصة، ثم بيّن أنها إذا درست في نقائها الخالص تؤدي إلى السلب، فالوجود يصل بنا إلى العدم، والواحد ينتقل إلى الكثير، وينتقل الكثير إلى الواحد»[3] وأما في مجال الأخلاقيات فإن نيتشه يعتبر «أن الأخلاق في صيغتها السقراطية فهي إنحطاط

1- تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 30

2 - مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الثاني، ص 722.

3 - إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيغل دراسة لمنطق هيغل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 52.

وأكاذيب، متأتية عن تدهور الحياة الإثينية في ذلك العصر، لأنها ترفض حرية الغرائز الطبيعية للإنسان، بل ترفض الحياة، وهي تدل في الأخير على إنتصار المريض والضعيف»[1] «فيصبح تمرد سقراط على السفسطائية مداهنة وكذباً إذ أنه المسؤول عن الوجهة الأخلاقية التي أخذتها الفلسفة في طريقها الطويل».[2]
إلاّ أنّ الواقع المثبّت بالشواهد الفكرية والعملية دلّل على أنّ بعض الإتّجاهات السفسطائية نظّرت للتضليل ومارسته عملياً.

1 ـ بعض الإتجاهات السفسطائية•
هي معلمة التضليل السياسي

إن القول بأن الحركة السفسطائية وبخاصة الاتجاه البروتاغوراسي، الغورجياسي، الايزوقراطي، هي معلمة التضليل السياسي، وتشكل احد اهم مصادره الفكرية النظرية والعملية إنما هو قول ينطلق من الشواهد والأدلة، والقرائن المستقرأة من الوقائع الفكرية، التي تعكس بنسبة عالية حقيقة هذه

---

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور ، ص 730

2 - المرجع ذاته، ص 729.

● أ- ماذا نعني ببعض الاتجاهات السفسطائية؟

منعا للإلتباس، والوقوع في خطأ التعميم، ومراعاة للمنهجية البحثية العلمية لا يمكن القول والتأكيد المطلق، على ان كل الاتجاهات السفسطائية كوّنت مصدراً لفلسفة التضليل السياسي، لأن ليس كل السفسطائيين عالجوا هذه القضية، لذلك نقول بعض الإتجاهات السفسطائية، ونعني «بروتاغوراس أمير السفسطائيين، خبير التلاعب بالديالكتيك الذي يسمح في جعل المسألة السيئة تنتصر على تلك الحسنة»

PROTAGORAS, prince des sophistes, expert à manipuler la dialectique, qui permet de faire triompher la mauvaise cause de la bonne".
CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*, T1, P.30... /..

القضية. ومن أهم هذه الشواهد الاثباتية :

أ ـ التماهي بين معنى «التضليل وطرقه» ومعنى «السفسطائية ومشتقاتها اللغوية»

أجمعت غالبية الإتجاهات الفكرية والفلسفية[1] وتقاطعت فيما بينها متطابقة متوافقة مع معظم الحركة المعجمية القاموسية، في شتى مجالاتها، على أن الحركة السفسطائية هي حركة ملتصقة ومتماهية، مع «التضليل السياسي». سوف نستقرىء بعض هذه العيّنات.

ب ـ السفسطائي هو المضلِّل (بكسر اللام)، و«السفسطائيون هم المضلِّلون» (بكسر اللام)، والسفسطة هي معلمة التضليل

- قديما كان معنى السفسطائي يدل على «الإنسان الحاذق او العالم في

.../... وغورجياس الذي لا يؤمن بالعقلانية ولا بالمنهجيات المنطقية، والذي أسس فلسفته على «اللوغوس» الكلامي الذي يسلك شتّى طرق التضليل الخداعية والاغوائية والإقناعية الخبيثة، بالإضافة إلى تلميذه إيزوقراطس أو إسكارتوس مؤسس المدرسة الإسكارتية سنة 930 ق.م.، التي كانت تعلّم طلاّبها أصول الخطابة والدعاية وفنون الديماغوجيا والتكيّف والتلوّن السياسي. هؤلاء صبغوا الحركة السفسطائية بأكملها بصفات ومسوح التضليل، لأنهم أنتجوا إرثاً فكرياً وكتبوا، وبحثوا، وعلّموا، وفتحوا مدارس، ولأنهم طبّقوا رؤيتهم ممارسين إياها في الحياة العملية.

إنّ أعلام هذه الحركة أنفسهم، لا يستحون بالمجاهرة بتأسيس قواعد التضليل السياسي وبتعليم كيفيات إستعمالها، وتطبيقها في السياسة، لأنهم لا يؤمنون بالمعايير الأخلاقية، وبالتالي ليس هناك فصل وتمييز لديهم بين الأخلاقي واللا أخلاقي، وفلسفة التضليل عندهم كما سنبيّن تنطلق من أصول فلسفية تتحكّم في نظرتهم إلى أمور الحياة والإنسان والكون والمجتمع والسياسة.

ب- إيزوقراطس هو أحد تلامذة سقراط وغرغيس (أي غورجياس) السفسطائي. أنظر في هذا المعنى، أرسطو، في السياسة ... المرجع المذكور، ص 10.

1 ـ إن الاتجاهات المناهضة للحركة السفسطائية، تعتبرها حركة مؤسسة للتضليل بأنواعه كافة، النظرية ومنها العملية، وأن إمتدادات الفلسفة السفسطائية التي ما زالت قائمة كالبرغماتية والمصلحية والنفعية والوسائلية والمكيفللية تؤمن أيضاً بالتضليل وتعتبره حقيقة واقعية إذا أدّى إلى النجاح والانتفاع في السياسة.

موضوع ما وهو مرادف لكلمة «SOPHOS" «سوفوس»، التي تدل بذاتها في بادىء الأمر على كل مهارة او حيلة، وتحوّل هذا المفهوم فأصبح السفسطائي يعني مغالطاً[1]. فلقب «سوفستس» كان يعني «الإنسان الحكيم الماهر في كل علم، المحامي الملم بجميع المعارف، المتمكن في حجج الاقناع، وقوة البرهان. تحوّل معناه الأصلي ليصبح نعتاً لكل مغالط مكابر على الحق، كما تحوّلت كلمة بهلول من اللغة العربية من معناها الأصلي «السيد الجامع الاكبر لكل خير»[2]. من هنا نجد ان كلمة «SOPHISTOS"، وسوفيستس" اليونانية تعني "سوفسطائي، مغالط"[3] أي أنه «يستعمل المغالطات»[4] «الحاذقة أو المدوّخة»[5] و«المزيفة المزوَّرة الماكرة المخادعة الغاشة وهو «الذي له لقب من حكمة تظن موجودة وليست كذلك، هو المرائي الذي يتراءى بالحكمة هو المدعي الذي يدعي أنه يبرهن ولا يكون كذلك» هو المشبِّه (بكسر الباء) الملبِّس (بكسر الباء) هو الباطل الذي أُخرج في صوره الحق انه طالب الغلبة ... مشاغبٌ،

---

1 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط 1، 1961، ص 1316

2 - قربان ملحم، المنهجية والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص 110.

3 - الفقي محمد عبد الرحمن، فيليب غليبس، قاموس يوناني - عربي، مكتبة السائح، سوريا، د.ت.، ص 362

4 - لالاند أندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ، ص 1316

5 - A- "subtils ou captiteux".

ROBERT PAUL. ***DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANÇAISE***. PARIS. 1986. p.1836"

B- "Subtle and specious reasoning."

MERRIAN A. - ***Webster, webster's Ninth new Collegiate Dictionary***. MERRIAN -WEBSTER. INC. publishers. SpringField. Massachusetts. U.S.A. 1986. p.1125.

يتظاهر بالمعرفة وليست له»[1].

– السفسطائيون هم الذين يمارسون «فن الجدل والكلام في سبيل المرجعية السياسية»[2] إنهم «فئة من الأساتذة الأحرار المتجوّلين، يمتهنون لقاء اجر قوي ومرتفع تعليم فن الكلام وفي الوقت عينه فن النجاح في الحياة الاجتماعية لزبائن من الشبيبة الغنية»[3]، هم «الذين علموا الناس البيان وأساليب الجدل ولكنهم اساءوا استعمال الجدل واصبحوا مغالطين ومعلمي مغالطة فتحول اللفظ تبعا لذلك»[4] إلى «اللفظية الفارغة»[5] «إنهم يمارسون الجدل للجدل، مدافعين باستهزاء عن كل الأطروحات بهدف المصلحة أو التسلية»[6].

إعتبر الفيلسوف ديمقريطس السفسطائيين، انهم اصحاب نزعة الإرتياب والشك، وأصحاب المعرفة السطحية، التي «تخفي إنكار الحقيقة

---

1 - أنظر في هذا المعنى، جبر فريد، العجم رفيق، دغيم سميح، جيهامي جيرار، مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص 420

2 - موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 1317

3 - "Les Sophistes, sorte de professeurs libres et itinérants, faisaient métier, fort bien payé, d'enseigner l'art de parler, en même temps que celui de réussir dans la vie sociale, à une clientèle de jeunes gens riches..."

CHEVALIER JEAN-JACQUES, ***HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE***, TI, p.30

4 - زكي بدوي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1993، ص 404.

5 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 92

6 - "Les Sophistes pratiquent la dialectique pour la dialectique et soutiennent indifféremment, par jeu ou par intérêt, toutes les thèses".

TRICOT J., ***TRAITÉ DE LA LOGIQUE FORMELLE***, PARIS, VRIN, 1973, p.23

تحت قناع البلاغة»[1]. أما أفلاطون فقد ربط بين السياسة الفاسدة والحركة السفسطائية، مسمياً زعماؤها «ملقني السياسة الفاسدة»[2] «إنهم المتلاعبون بأفكار الشعب وعواطفه»[3] فبروتاغوراس يجعل «الصلاح طلاحاً والشر خيراً... ويقلب الصدق كذباً»[4] انهم أصحاب «حرفة التملق والكذب»[5] لقد علّموا «الكذب والرياء والخداع والطمع وحب المال والسيطرة بدلا من الصدق والصراحة والأخلاق والخير»[6] «لقد حولوا فن السياسة إلى فن تمليق الشعب بغية السيطرة عليه إلى فن الركض وراء الشعب لكي ينالوا عطفه»[7]. إلى مشاغلة الشعب «وإلهائه بالمظاهر المخادعة»[8] وعلّموه «المدالسة»[9] و«التقليد»[10] و«الغش»[11] و«الشر»[12]، فأصبحت السياسة تنتهج «جدلية المكر والخداع وتزييف الحرية الحقيقية»[13] و«المظاهر المخادعة»[14] يشبّه أفلاطون التضليل التمظهري، «بالثوب المزركش بكل انواع النقوش، فيلوح جميلا ويعجب به كثيرون إعجاب

---

1 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق المرجع المذكور، ص 60

2 - غيث جيروم، أفلاطون ... المرجع المذكور، ص 21

3 - المرجع ذاته، ص 22

4 - المرجع ذاته

5 - المرجع ذاته

6 - المرجع ذاته، ص 23

7 - المرجع ذاته

8 - المرجع ذاته

9 - المرجع ذاته

10 - المرجع ذاته، ص 24

11 - المرجع ذاته، ص 27

12 - المرجع ذاته

13 - المرجع ذاته، ص 32

14 - المرجع ذاته، ص 23

النساء والأولاد الصغار بالثياب الزاهية»[1] ووصف النظام السياسي الذي كان يسيطر عليه السفسطائيون بأنه يتستر بسيادة «الحرية الكاذبة»[2] حيث «ينتشر الخداع والتملق بثياب الديمقراطية»[3]. إنهم يستعملون اللفظية المطلقة الفارغة[4].

وبالعودة إلى تاريخ الفلسفة، نجد أن «الخطابة السياسية» كانت محورا للمشادات والخصومات في المدرسة السقراطية الأرسطية بمواجهة المدارس السفسطائية، وأهمها المدرسة الإسكراتية التي تعتمد في خطابتها السياسية على منهجيات التضليل والخداع. وقد قام بين المدرستين الأفلاطونية والإسكراتية مشادات ومخاصمات لا تزال مع مرور الزمن، تزداد توترا وعنفا مرده، تناقض الأراء، وتضارب المذاهب، بين سقراط وتلاميذه من جهة والسفسطائيين من جهة ثانية.

وقد «ثار ارسطو على السفسطائيين متدخلا إلى جانب معلمه في تلك المناوأة او بالحري بالنيابة عنه، ونظم حواره الذي دعاه اغرلس»[5]. وهاجم المدرسة الاسكراتية ووصف أدبها «بالزائف» «المنمق» «الملفق» «الفارغ» «السخيف» «المبتذل» «المغالي» «السطحي»[6]، قائم على مزج الحق بالباطل، وعلى تزييف الحقائق. إنها تعلم وتلقن منهجيات التضليل للسياسيين. إنها «ليست سوى حرفة مبتذلة او مهنة خسيسة غايتها اقتناص الشبان الموسرين بالتملق والمداهنة والانتفاع من ثرائهم بحجة تعليمهم براعة الإلقاء وعلم الجدل والمغالطة. إنهم

---

1 - غيث جيروم، أفلاطون ... المرجع المذكور، ص 35

2 - المرجع ذاته

3 - المرجع ذاته، ص 35

4 - أنظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 92

5 - أرسطو، في السياسة ... المرجع المذكور، ص 12

6 - المرجع ذاته

باعة الكلام وتجار الحقيقة يبرزون البهتان بثوب الحقيقة إنهم يمارسون ضروب المخاتلة والمخادعة إنهم يهدفون إلى تكييف اذهان الجماهير بحجة جعل أولئك الشبان الأغرار ساسة محنكين[1] انهم «أصحاب الخطب الطنانة الجوفاء»[2].

وقد وقفت الفلسفة العربية القديمة الموقف ذاته من السفسطائيين، فالكندي كتب رسالة يفنّد فيها «السفسطائية وهي تحت عنوان «في الإحتراس من خدع السفسطائية» وهي مفقودة، وكذلك وضع الفارابي كتابين ينقد فيهما الفكر السفسطائي، وهما كتاب «شرح المغالطة»، و«كتاب المغالطين»، ووضع إبن سينا رسالة عنوانها «السفسطة» حدد فيها السفسطائية، بأنها نوع من الأغاليط والخداع والاستدلال الباطل[3]. أما إبن رشد فقد كتب ما سماه «تلخيص السفسطة» مشيرا إلى مغالطاتهم واضاليلهم[4] ، شارحاً أقاويل ارسطو فيها.

وتشير السفسطة ومشتقاتها اللغوية إلى معاني التضليل. فنجد «إن سوفا بلغة اليونانيين اسم «للعلم» وإسطا اسم «للغلط» فسوفسطا معناه «علم الغلط»[5] ومنها السوفيسما (Σοφισμα) "SOPHISMA" أو «القياس الفاسد»[6]، و«هي إسم للحكمة المموهة والعلم المزخرف»[7] أي «مغالطة، وهي حجة صالحة

---

1 - أنظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 11 - 12

2 - المرجع ذاته، ص 24

3 - أنظر في هذا المعنى، الموسوعة الفلسفة العربية ... المرجع المذكور ، ص 722

4 - أنظر في هذا المعنى، فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور ، ص -241 242-243

5 - موسوعة كشاف إصطلاحات العلوم والفنون، تقديم واشراف ومراجعة العجم رفيق، مكتبه لبنان، ناشرون الجزء الأول 1998، ص 958

6 - الفقي محمد عبد الرحمن، فيليب غليتس، قاموس يوناني - عربي ... المرجع المذكور ، مرجع سابق، ص 362

7 - العجم رفيق، موسوعة أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1991، ص 790

في الظاهر، لكنها غير صحيحة في الحقيقة، يجري التذرع بها لتوهيم الأخرين، فهي مخاتلة يأخذ بها المرء، بدافع من حب الذات والمصلحة والهوى... وتهدف إلى إرباك مناقض ما، ونصب فخ له ويؤدي إلى توليد ارتباك منطقي»[1]. إنها «فن الخداع بمقاييس تضليلية»[2] هي «القياس المركب من الوهميات»[3] و«الحكمة المظنونة والفلسفة المظنونة... والمموهة»[4] وهي «تنحو نحو الجدل، فيما تفعله، فما يفعله الجدل على الحقيقة، تفعله السوفسطائية بتمويه ومغالطة»[5]. وهدفها «التشكيك والمغالطة، وإحداث التوهم»[6]. وقد إشتقت عن السفسطة معان تدلل على التضليل وطرقه، فمدلول الكلمة الفرنسية «سوفيستيكاسيون» Sophistication يعني الغش والإدغال والحذلقة والتصنع... و«سوفيستيكه Sophistiquer» هو فعل يعني، زيّف، غالط، ضلّل"[7].

2 ـ المكونات البنائية لفلسفة التضليل عند السفسطائيين

أ ـ المعرفة المبنية على النظرية العدمية وإنكارية المعرفة الموضوعية

يعتبر السفسطائي غورجياس «إنه من المستحيل إثبات الحقيقة»[8] وبالتالي

---

1 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 1315

2 - بلانشي روبير، المنطق وتاريخه ... المرجع المذكور، ص 45

3 - موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ... المرجع المذكور ص 957

4 - جبر فريد، العجم رفيق، دغيم سميح، جيهامي جيرار، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ... المرجع المذكور، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص 420

5 - المرجع ذاته

6 - المرجع ذاته، ص 421

7 - عبد النور جبور، إدريس سهيل، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، دار العلم للملايين، ط8، 1985، ص 965.

8 - "Il est impossible de prouver le vrai"

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*. TI. P197

إنكارية الحقيقة الموضوعية، والمعرفة الموضوعية، إنطلاقا من النظرية المعرفية المبنية على العدمية. «إنه لا يوجد شيء»[1] فلا الوجود ولا اللاوجود موجودان»[2] «وإذ كان يوجد شيء فهو غير معروف، وإذا كان معروفا فمن المستحيل نقله إلى الآخرين»[3]. «فالسفسطائيون ينكرون معرفة العالم الموضوعي، ويتبنّون موقف النزعة النسبية. وهم في إتخاذهم من النزعة النسبية أساسا لنظرية المعرفة والاخلاق، قد إنتهوا إلى إنكار المعرفة الموضوعية. السفسطائي لا يبحث عن حقيقة الوجود لأنه هو الشاهد الوحيد لصيرورة الاشياء وهو الوحيد الذي يستطيع ان يحكم عليها بالوجود او اللاوجود»[4].

إن هذه النظرية العدمية في المعرفة وفي الوجود وفي الأنطولوجيا، جعلت غورجياس يؤسس معرفته على «اللوغوس» «LOGOS» الذي افرز طرقا في التضليل، كالإقناعية والجذبية الخداعية، والخطابة والبلاغة وإلى إحلال التفكيرات القولية، مكان التفكيرات العلمية وإلى انتهاج الظنية والتشكيكية. وكل هذه الطرق سوف نعالجها. «السفسطائي لا يبحث عن حقيقة الوجود والأفكار، ولا عن وحدة القيم، فلا يهمه القول الفلسفي المحض، بقدر ما يهمه إقناع الناس بما يريد او بما يعتقد، وبذلك يستطيع أن يجعل من القول الضعيف الواهي قولا قويا وجبارا»[5]. إن المعرفة

---

1 - المرجع ذاته، ص214 "Rien n'existe"

2 - المرجع ذاته، ص 215 "Ni le non-étant ni l'étant n'existent".

3 - "Si quelque chose existe, c'est inconnaissable, ou que si c'est connaissable, c'est impossible à transmettre aux autres".

BREHIER EMILE. ***HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE***. PUF. 1981. p.175

4 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 728

5 - المرجع ذاته، ص 372

العدمية، قادت السفسطائيين إلى الانطلاق في السياسيات والأخلاقيات والإجتماعيات، من منطلق النسبية، وهذه النسبية أدت في كثير من الأحيان إلى انتهاجهم لطرق التضليل.

ب ـ النسبية كمولّدة للتأويل التضليلي.

لخص هذه النسبية بروتاغوراس بقوله «الإنسان مقياس جميع الاشياء وكل إنسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق ولمّا كانت أحكام الناس تختلف بالشيء الواحد، فما يراه هذا صوابا يراه الاخر خطأ، وكل واحد مخطئ ومصيب في آن واحد. لأن الحقيقة تابعة للشعور الذي يحسه، وما صُدق الشيء وكذبه إلا حسبما يستحضره الإنسان صدقا او كذباً»[1].

إن هذا المقتبس يشير، إلى أن منطلق الحكم على الاشياء هو منطلق الذات، فالأحكام تصبح أحكاماً ذاتية، وإنبنائية هذه الأحكام ترتكز على المعارف الذاتية، والمعارف الذاتية لدى الاشخاص حول شيء معين، هي معارف مختلفة، والإختلافية في الأحكام تنتج منها الإختلافات حول معيارية الخطأ والصواب. والأحكام هذه تتأثر بالذات الإنسانية والذات الإنسانية بالنسبة للسفسطائيين «تستند إلى الحواس والحواس متغيرة بتغير الظروف والاشخاص»[2].

وهذه التغيرية، المتأثرة بالإدراك الحسي، تتغير مع الموضوع تبعا لتغيراته. ان بروتاغوراس يعتبر أن «الذات المُدرِكة تتغير في كل لحظة مثلما يتغير الموضوع الذي تدركه يصبح أي إدراك حسي لأي انسان نسبياً وذاتياً... فعندما يبدأ نسيم رقيق في التنفس فقد يعطي إنطباعاً بالبرد عند فرد، وإنطباعاً بالحر عند آخر، فهذا النسيم اهو بارد ام حار؟ إنه عند الأول بارد، وعند الثاني حار. ولا يمكن

---

1 - قربان ملحم، المنهجية... المرجع المذكور، ص 110

2 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 726

ان توجد وفقا لبروتاغوراس اجابة موضوعية عامة»[1] إن الانطباعية المدركة بالادراك الحسي، بالنسبة لبروتاغوراس هي مصدر الاحكام. وهي مصدر التأويلات المضلِّلة (بكسر اللام) التي لا تعكس الحقيقة الموضوعية الواقعية، إنما تعكس حكم الاحاسيس، والإنفعالات المكونة للإدراكات الحسية الذاتية، والمناقضة للأحكام الموضوعية التي تصف الواقع لا كما هو موضوع، بل كما هو محسوس. إن هذه النسبية تؤدي إلى الالتباسية.

ج - الشكية السفسطائية تضليلية لا يقينية

إن الالتباسية السفسطائية القائمة على استخدام التعارضات والتناقضات الكلامية والازدواجيات اللفظية، والتفكيرية، والانتولوجيا (ANTILOGIE) وعلى تقنيات التضليل "الأرستيكي» (ÉRISTIQUE) المتلبس له لبوسا منطقية زائفة، وعلى تقعيد المعرفة على "اللاعقلانية"، وعلى "مبدأ الذاتية" و"النسبية" ادت بالسفسطائيين إلى الوقوع بالنزعة الشكية الارتيابية»[2].

---

1 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ المنطق ... المرجع المذكور، ص 56

2 - الشكية الإرتيابية: Scepticisme

الشاك هو من يكتفي بأن يرى ويرفض ان يحكم، وبالتالي ان يثبت إنيّة الأشياء، التي تطابق مع تصوراته او ان ينفيها، «الشكية» هي حالة من الشك، هو مذهب يرفض ان يثبت او ينفي، وبالتالي ان يصدر حكماً، وبخاصة في ما يتعلق بمادة الماورائيات، بالمعنى المعروف إن الشاك هو الذي يرفض ان ينضم إلى معتقدات معينة إي عدم قبولها.

- المترجم فرنسوا ايوب قد رادف لفظة «scepticisme" باللاأدرية. وهذه ترجمة غير دقيقة في نظرنا لأن اللاأدرية يرادفها «Agnosticisme"وهو "مصطلح يطلق على مجمل المذاهب الفلسفية الشديدة الإختلاف في ما بينها، والتي تسلم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها.

انظر بهذا الصدد أ- أيوب فرنسوا، ترجمة القاموس الفلسفي لليدية جوليا، مع تخريج وتعليل وتحليل نقدي، اطروحة دكتوراه دولة، بإشراف د. جبر فريد جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981، ص 400.

وانظر كذلك - ب -لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 39 - 40

ليست الشكية السفسطائية منهجا للوصول إلى اليقين إذن، ولا تهدف إطلاقا إلى التوصل إلى المعرفة الموضوعية والحقيقية، طالما ان غورجياس انكر المعرفة الموضوعية وقعّد معرفته على مبدأ العدمية.

هذه الشكية تختلف عن الشكية الديكارتية التي تهدف إلى تأسيس منهج منطقي فلسفي ثابت يسعى إلى اليقينية والموثوقية. الشك عند ديكارت عملية فكرية أساسية للمنهج الديكارتي. يقول ديكارت «فكرت ان من الواجب علي ان اطرح جانباً كل ما قد اتخيله موضوع شبه وارتياب، وان اشطبه بوصفه فاسدا بإطلاق، وذلك لأرى ماذا سيبقى لي بعد ذلك من ثابت وصحيح ويكون قابلا للثقة الكاملة»[1] هذا يعني ان الشّكية الديكارتية هي شكّية تهدف إلى نزع التضليلات من الفكر. الشك بوجود الشبه والإرتياب ونزعها وشطبها لأنها فاسدان. وثمّ الإبقاء على ما هو صحيح، لأن كل ما هو صحيح يتصف بالثبوتية أي بعدم التغيرية التي تعني اليقينية والموثوقية والموضوعية.

أما الشكّية السفسطائية المتغيرة، فتهدف إلى إجرائية التخبط والحيرة في العقول والى إجرائية التوهم في النفوس من أجل خداعها والى إجراء الارباك في المسلكيات بغية التضليل، والسيطرة الكلامية المتلونة والمتكيفية مع الظروف والمناسبات متهزة الازمنة والأمكنة.

1 - المرجع ذاته، ص 301

الفصل الثاني

أهم طرق التضليل الكلامي عند السفسطائيين

الفصل الثاني

أهم طرق التضليل الكلامي عند السفسطائيين

أولاً- الإلتباسية منهجاً تضليلياً

إن النسبية التي انطلق منها بعض السفسطائيين، أدت إلى التأويلية الذاتية التي مهدت لنشوء «التأويل التضليلي»، كما أدت إلى نشوء «الالتباسية التضليلية» التي كان يهدف إليها بعض السفسطائيين، من أجل إجراء التخبط الفكري والنفسي في عقول ونفوس الناس بهدف تضليلهم، ومن أهم الآليات التي تؤدي إلى الإلتباسية التضليلية.

1 - الأونتيلوجيا (ANTILOGIE) (Αντιλογια)

- في المقاربات التعريفية للأونتيلوجيا (ANTILOGIE)

في اللغة اليونانية تعني المناقضة، والمنازعة، والدحض[1] و«الاونتيلوجيكس» (ANTILOGIQUE) تعني الطريقة السفسطائية[2]، «أي المعارضة للمنطق والخارجة عن القوانين المنطقية»[3]. وتعني أيضاً «السفسطة أي فن المحاججة»[4]،

---

1 - Contradiction , contestation, réfutation *
GHASSANG A.. *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*. Paris, Garnier Frève, Librairie – éditeur, 1989, P.95

2 - المرجع ذاته. Une manière sophistiquée *

3 - صليبا جيل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 ، الجزء الثاني، ص 390

4 - La sophistique, l'art de discuter .
NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC- FRANÇAIS. P.95

حيث يوجد معارضة في اللغة «فهي المقابلة على سبيل الممانعة»[1] فهي حاملة «لتناقض الافكار»[2] وقد قاربها قاموس لالاند الفلسفي على انها «تعارض الاقوال والمحاجات»[3].

- الخطاب الملتبس أو المزدوج كنموذج «للأنتيلوجيا المضلِّلة» (بكسر اللام)

الخطاب الملتبس هو خطاب سفسطائي مكتوب، أطلق عليه «الخطاب المزدوج» او «المقالات الملتبسة، يعرض نظرية النسبية المطلقة، للمفاهيم الإنسانية، في الخير والشر والجمال والقبح والعدل والجور والحق والباطل ويبرهن على وجهتي نظر متضادتين فالحقيقة والبطلان هما متطابقان ومختلفان في آن واحد، وهو يقول ان القضاة يستطيعون ان يعتبروا المقالة الواحدة حقا وباطلا. فالشيء يكون في ذات الوقت حقيقيا وثقيلا فذلك يعتمد على ما يقارن به»[4] وهذا الخطاب موضوع تناوله بروتاغوراس حيث قال «أنه لكل شيء يوجد خطابان يناقض واحدهما الأخر»[5].

«إن التعليم الخطابي لغورجياس، وأعمال القواعد اللغوية العامة

---

1 - صليبا جيل، المعجم الفلسفي ... المرجع المذكور، الجزء الثاني، ص 390

2 - عبد النور جبور وادريس سهيل - المنهل قاموس فرنسي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت 1985، ص 54

3 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 77

4 - ماكوفلسكي ألكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 57

5 - « Protagoras… dit que sur toute chose il y a deux discours qui se contredisent l'un l'autre »
DHERBEY GILBERT ROMEYER - *Que sais-je, LES SOPHISTES*. p. 11

لبروتاغوراس، وأبحاث بروديكوس التي تتناول المرادفات، دهاء، يجد منابعه الحجاجية في نتاجات أدبية صغيرة، مثل «الخطابات المزدوجة»، التي تلخص منهج الطرح المزدوج المعاكس، للذي يمكن الإرتكاز عليه في المسائل الأخلاقية، حرفة نجدها في آخر تجلياتها في فن المشادات الكلامية (الإرستيك) الذي سخر منه بحزم أفلاطون في أوتيدام».[1]

إن الإزدواجية المتناقضة والمتنازعة والمتعارضة فيما بينها. او التي تنتهج اللامنطق، في مسلوكية الخطاب السياسي والاخلاقي والاجتماعي وفي شفاهيته وكلاميته، وفي كتابيته ومفهوميته، هي إزدواجية تؤدي إلى انتاجية طرق التضليل السياسي والاخلاقي، فتخلق في النفوس والعقول الخلط والالتباس واللامبدئية، يستخدمها المضلِّلون (بكسر اللام) السياسيون في عملياتهم كطريق للتلون السياسي والديماغوجيا السياسية، والتأويل التضليلي للوقائع السياسية، والى ممارسة التغيير والتبديل في المواقف تبعا للمصلحة والمنفعة ويستخدمها التضليل أيضاً في طرق التلاعبات الكلامية.

(L'enseignement rhétorique de Gorgias, les travaux de grammaire - 1 générale de Protagoras, les recherches de Prodicus sur les synonymes. Virtuosité qui trouve ses ressources d'argumentation dans des petites oeuvres comme les "Doubles discours", qui résument schématiquement la double thèse, contraire que l'on peut avoir à soutenir sur des questions morales, virtuosité qui a enfin sa dernière manifestation dans l'art de dispute ou éristique, dont Platon s'est si cruellement moqué dans l'Euthydème).
BREHIER EMILE, ***HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE***, p.75

• الجدال حول دفع الأتعاب كنموذج للجدالية المغالطية (ÉRISTIQUE)

إستخدم السفسطائيون فيما بينهم طريقة الأنتيلوجيا التضليلية بآليات التلاعب الكلامي في قضية «الجدال حول دفع الاتعاب» وقد سمي بقياس الإحراج والقياس المناقض له ومن الامثلة على ذلك، قصة الفيلسوف السفسطائي اليوناني بروتاغوراس Protagoras مع تلميذه اواثلس Euathlus. فقد وافق بروتاغوراس على ان يعلم اواثلس صناعة الجدل والخطابة لقاء مبلغ من المال، يدفع اواثلس نصفه مقدما ويدفع النصف الباقي عندما يتمّم تخرجه، ويزاول العمل، ويكسب أول قضية يترافع فيها امام القاضي او المحكمة. لكن بروتاغوراس لاحظ ان اواثلس بعد تخّرجه، يتجنب المرافعة، فظن انه يتهرب من ذلك، حتى لا يدفع له باقي الاجر. فرفع عليه دعوى يطالبه فيها ليدفع ما تبقى عليه من المال: قائلا: إذا ربح اواثلس الدعوى، فعليه ان يدفع باقي الأجر، بناء على الإتفاق المعقود بيننا، وإذا خسر اواثلس الدعوى، فعليه ان يدفع باقي الاجر ايضا وذلك بناء على حكم المحكمة (مقدمة كبرى).

ولكن اواثلس اما ان يربح الدعوى واما ان يخسرها (مقدمة صغرى).

فهو إذن/ يجب عليه ان يدفع لي باقي الاجر، على كل حال (نتيجة).

لكن اواثلس الذي كان قد تعلم فن الكلام والمرافعة رد على احراج معلمه، باحراج مضاد له، قائلا:

إذا ربحت الدعوى، لا يتوجب علي ان ادفع شيئا وذلك بناء على حكم المحكمة، وإذا خسرت الدعوى لا يتوجب علي ان ادفع شيئا، وذلك بناء على الاتفاق المعقود بيننا. (مقدمة كبرى).

ولكن اما ان اربح الدعوى او ان اخسرها.

إذن/ فأنا لا يتوجب علي ان ادفع شيئا، على كل حال.

ويقال ان القاضي حار في كيفية الفصل بينهما، فاضطر إلى تأجيل الدعوى مائة عام[1].

2 - التضليل الجدلي المغالطي : Éristique

عرف هذا النوع من التضليلات تحت اسم صنعة او فن الجدل المغالطي (ART DE L'ÉRISTIQUE) (Τεχην εριστιχων)[2]، أما الأرستيك فتشير إلى «الجدلي او فن الجدل»[3] ولكن هذا النوع من الجدال إتخذ عند السفسطائيين طرقا للتضليل من أجل الاقناع والتسلط والمنفعة، في السياسيات والأخلاقيات والإجتماعيات وفي مظاهر الحياة كافة. الأرستيك السفسطائي يعني مجموعة «المجادلات المنطقية البارعة يؤخذ خصوصاً بنحو سيء»، فيقال فن الإستدلالات المغرضة، والمحاجات السفسطائية»[1]. و«التبكيت المغالطي» وهو القياس الذي يعمله المتشبه بالجدلي او التعليمي، لينتج نقيض وضع ما،

---

1 - انظر في هذا المعنى، مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 273.

• وقد تجادل العلماء دون جدوى زمنا طويلا حول تلك السفسطة إلى وقت ليتس الذي لم يجد لها حلا كافيا . انظر في هذا الصدد، الكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور ، ص 58.

• وهذا الجدل دعي «الجدال القانوني حول دفع او تسديد قيمة الأتعاب او الشرفية».

"La Dispute judiciaire sur le paiement des honoraires".

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, TI, p.32

2 - جبور عبد النور وادريس سهيل، المنهل ... المرجع المذكور ، ص 404

3 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ، ص 360

وبالحري ان لا نسميه تبكيتاً وتوبيخا بل تضليلا»[1]، انه «شعوذة تحتال على المفاهيم... وضرب من البهلوانية اللفظية»[2] انه «الجدال المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقوامه استعمال الاستدلالات المموهة... فلا غرور اذا قيل ان اصحاب هذا الفن يفنّدون كل شيء دون اثبات شيء»[3] انه «الجدل المموه، فهو ضرب خادع من الجدال والمناقشة للإنتصار على الخصم ويترجم احيانا بالحذلقة»[4] الجدل السفستي (السفسطائي) هو التلاعب بالحقيقة وإنه فن التضليل والخداع واما الجدل الفلسفي فهو البحث عن الحقيقة وعن شروطها في كل الإتجاهات وبكل الوسائل[5].

يتضح من هذه المقاربات التعريفية المتعاطفة فيما بينها ان «الأرستيكا» هي تقنية جدلية قولية لفظية مرائية مغالطية، تمويهية إغراضية متحذلقة مشعوذة لا إثباتية، متناقضة مع ذاتها تهدف إلى المجادلة والمحاججة والإقناع الخبيث، وغايتها الإفحام والنجاح والتسلط. فهي طريق تضليلية تتلبس في ظاهرها لبوس المنطق. وقد اعطى ارسطو مثلا عن التضليل الارستيكي عندما اشار في كتابه «الخطابة» إلى بروتاغوراس «الذي يصير الشيء الخسيس بالكلام عظيما... وبحق ما كان الناس متكرهين لسنّة فروطاغوراس... لأنها كذبت وليست بحق ... وهذه الامور موجودة في الرطورية RHÉTORIQUE والمشاغبة ÉRISTIQUE»[6].

---

1 - جبر فريد، العجم رفيق، دغيم سميح، جيهامي جيرار، موسوعة المصطلحات ... المرجع المذكور، ص 174

2 - ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق ... المرجع المذكور، ص 57

3 - صليبا جيل، المعجم ... المرجع المذكور ، الجزء الأول، ص 390 - 391

4 - تاريخ علم المنطق، ص 57

5 - انظر في هذا المعنى، غيث جيروم، أفلاطون ... المرجع المذكور ، ص 86.

6 - ارسطو ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ودار العلم، 1979، ص 175

ثانياً- اللوغوس (LOGOS) الكلامي وطرقه التضليلية في الإتجاهات السفسطائية

1 ـ تأثير اللوغوس (LOGOS) الهيرقليطي على اللوغوس السفسطائي

لقد تأثر السفسطائيون «باللوغوس»* الهيرقليطي وخصوصاً لجهة اللوغوس الكلامي، ذلك أن «أحد المفاهيم الأساسية عند هيرقليطس الأفيزي، اللوغوس تحديداً، يعني عنده سواء الكلام والفكر أو الشيء الموجود ذاتياً»[1]. «هيرقليطس كان يحب الأصوات والكلمات واللعب على الألفاظ والإستعارات»[2] وتشكل المناقضة الكلامية، أي استعمال التناقضات الكلامية ضمن المقولة الواحدة ميزة اقتبسها السفسطائيون من هيرقليطس وخاصة غورجياس»[3].

2 ـ في المقاربات اللغوية والمفهومية «للوغوس» بشكل عام

إن مفهوم «اللوغوس» (Logos) واشتقاقاته في اللسان

---

1 - * لقد أثر هيرقليطس على الحركة السفسطائية تأثيراً مباشراً وخاصة من خلال فلسفة «اللوغوس» أن مسألة اللوغوس هي إحدى القضايا الغامضة في نظر هيرقليطس، ويُعتقد أن هذه الكلمة قد أدخِلت لأول مرة عن طريقه. أن اللوغوس الهيرقليطي ليس مجرد مقولة فلسفية ، بل هو أيضاً ماهية فيزيائية وكائن أسطوري، ومن بين معاني اللوغوس بالنسبة لهيرقليطس «النظام الكوني»، «الاعتدال»، «التناسب»، «التوازن بين الأشياء»، «النظام الأبدي الثابت والكوني الوحيد للأشياء»، ومقياس الأشياء المتغيرة» إنه «القوة المحركة لكل تغيير في الأشياء والتي تتمظهر من خلال الصراع»، «ان اللوغوس في عملية كل شيء يجري».

انظر في هذا المعنى، كيسيديس ثيوكاريس، هيراقليطس، ترجمة حاتم سليمان، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 1987، ص 222،223 ،215،216،217،221.

المرجع ذاته، ص 120

2 - المرجع ذاته.

3 - أسلوب المناقضة، هو أسلوب جدلي شكلي يمكن أن يلبس أي مضمون، فغورجياس السفسطائي يعتبره تسلية ولعبة فكر، ومن الأمثلة على أسلوب المناقضة القول «نحن لسنا شيئاً، فلنكن كل شيء»، والمناقضة هي الأسلوب البلاغي المفضل عند الخطباء اليونانيين وخاصة ديموستين.

راجع في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص 128 - 129

اليوناني يتكّون من عدة معان. فهو يعني «القول»[1] و«الكلام»[2] و«النطق» ومعنى (Logikon) (لوجيكون) (LOGIKON) هو عقل وعقول"[3] و(Logikoς) (LOGIKOS) (لوجيكوس) فهو المعقول"[4] ومعنى «لوجيك» (LOGIQUE) يتأتى من "اللوغوس أي العقل"[5] واعمال العقل، وتمظهراته، عديدة نذكر منها الإدراك والتفكر والتذهن والتمنطق.

انطلاقا من هذه المقاربات التعريفية يصبح «اللوغوس» ليس خطابا كلاميا لفظيا فحسب، إنما خطاب داخلي تفكيري ويصبح التكوين اللوغوسي تكوينا تماذجياً تلازمياً تفاعلياً بين الخطاب المنطوق (القول ، الكلام، اللفظ)، وبين الخطاب الداخلي التفكيري التذهني المتمظهر بأعمال العقل ونشاطاته، وتطور مفهوم اللوغوس اليوم ليصبح مرادفا للعلم[6].

3 ـ مفهومية اللوغوس بالنسبة للحركة السفسطائية وفي تغليب القول والكلام على العقل

الحركة السفسطائية وبخاصة الاتجاه (البروتاغوراسي، الغورجياسي، الإيزوقراطي) غلّب أفعال اللوغوس القولية الكلامية اللفظية النطقية، على العمليات العقلية التفكيرية وذلك إنطلاقاً من فلسفته القائمة على النسبية

1 - كامل عبد السيد صمويل، ارتيمس ثلاسينوس، قاموس عربي - يوناني، مكتبة لبنان، 1995، ص 302

2 - المرجع ذاته، ص 318

3 - المرجع ذاته، ص 240

4 - المرجع ذاته

5 - ROBERT PAUL. PETIT ROBERT. *DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANÇAISE*. P. 1107.

6 - يقال مثلا سوسيولوجيا «Sociologie" أي علم الاجتماع

والشكية والريبية والعدمية والتغيُّرية والتبدلية. الإتجاه السفسطائي إعتبر أن «كل شيء زائف»[1] «الوجود زائف والعالم خادع بطبيعته والقول ... الذي يريد إثبات حقيقة العالم هو قول خادع وزائف»[2] وكذلك هي المعرفة الإنسانية فإنها مستحيلة وعاجزة[3] ومتناقضة[4] لأنها تستند إلى الحواس التي هي متغيرة ونسبية تتغير بتغير الظروف والأشخاص. إن هذه الفلسفة قادتهم إلى نفي وجود جوهر للحقيقة، وإلى نفي وجود ثوابت واقعية حقيقية. كل هذه الأمور أعدمت التكوين العقلاني المنطقي للوغوس. وأبقت على التكوين القولي النطقي اللفظي الصوتي، وطوّرته بأساليب الخطابة والبلاغة والفصاحة والشعر، وربما من بين الأسباب التي أدت بالحركة السفسطائية إلى التأثر بالتعويل على الخطاب الملفوظ الشفهي، هو أن «الحضارة الإغريقية، كانت أساسا حضارة شفوية، إذ أن التعليم لم يكن يستند إلى قراءة النصوص المكتوبة بل إلى سماع القصائد الشعرية الملحنة. ففي هذه القصائد تم اختزان ما يجب أن يعرفه الإغريقي عن الإنسان وما فيه»[5].

«من خلال بروتاغوراس، غورجياس يحدد دفعة واحدة طبيعة اللوغوس على أنه سلطة الإقناع والخداع الإغوائي للعقل»[6]. إن السفسطائية أعطت

---

1 - "Tout est Faux" UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. TI, p.270

2 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 731

3 - "عجز المعرفة الإنسانية" "L'impuissance de la connaissance humaine" *LES SOPHISTES*. TI. P.174

4 - "La connaissance est contradictoire" "المعرفة هي متناقضة"
المرجع ذاته، ص 187

5 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 726

6 - "... à propos de Pratogoras, Gorgias définit d'emblée la nature.... du "LOGOS" comme pouvoir de persuader et de leurrer l'esprit" UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. TI. P.165

اللوغوس مفهوما آخر فقد «اصبح الكلام متموجا ومتذبذبا ومختلفا... اصبح فتاناً ومُضِلاً وخادعاً فهو يغري الشباب أيضا ويضِلهم. ولم يعد ينطوي الكلام على الحقيقة فقط، بل اصبح أيضا أداة إقناع وإقتناع تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل دون أن تعير اهتماما للحق وللباطل»[1]. والتضليل عند الحركة السفسطائية لا يرتبط فقط بالمنطلقات الفلسفية التي أسست الفكر السفسطائي والتي أشرنا إليها كالنسبية والعدمية الخ... إنما هو أيضاً وسيلة للربح والانتفاع المادي للمواجهات السياسية، والصراعات السياسية بآليات الخطاب المنطوق، والذي يهدف إلى الهيمنة والزعامة وقيادة الشعب، باستخدامه طرقاً عديدة منها «التضليل العقلي» و«التضليل النفسي» و«التضليل الكلامي». فما هي طرق اللوغوس التضليلية.

ثالثاً ـ طرق اللوغوس الكلامي التضليلية

1 - مفهوم «الاباتي» (APPATI) بين المقابلات والمقارنات القاموسية

من خلال إجرائية المقاربات والمقارنات والمقابلات، بين القواميس اليونانية-الفرنسية والعربية-اليونانية، وتلك الفرنسية-الفرنسية

- ملاحظة: إن اللوغوس عند غورجياس، يحتوي في جوهره على «الأباتي» (Απατη) (APPATÉ) وهو مصطلح ذو أصل يوناني رادفه مترجم كتاب "السفسطائيون" بالمصطلح الفرنسي "LEURRE ". إن الأباتي في اللسان اليوناني، وخاصة عند غورجياس كما سنثبت له عدة لمظهرات تضليلية فلا يقتصر فقط على «الخداع» إنما على الخداع المقترن بالإغواء، لذلك فإننا ترجمنا «LEURRE» المنقول عن الأصل اليوناني بمعنى "الخداع الإغوائي" وهذا التخريج سوف نعلله لاحقاً. وقد أشار المترجم إلى مرادفه كلمة (LEURRE) بالكلمة اليونانية (APPATÉ) في عدة مواضع نذكرها على سبيل المثال ما ورد في المرجع ذاته، ص 166 حيث جاء "Le "Leurre" tel qu'il est défini par le terme(Απατη) (APPATÉ)

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 727

والفرنسية-العربية ومن خلال السياقات التي ورد فيها هذا المفهوم، وخصوصاً في نصوص كتاب «السفسطائيون» المنقول من اللغة الإيطالية إلى اللغة الفرنسية الذي نوهنا به سابقا ، ويتبين لنا المعاني والأبعاد الآتية:

إن القاموس اليوناني الفرنسي قد أعطى لمفهوم «الأباتي» «APPATÉ" معنى "tromperie"[1] أي خداع أي الخديعة والخدعة، أما القاموس العربي-اليوناني فبالإضافة إلى هذا المعنى فقد أشار إلى أن لكلمة «الأباتي» معاني هي «الإحتيال»[2] و«التلاعب»[3] و«المخاتلة»[4].

أما في النصوص التي وردت في كتاب «السفسطائيون» وخاصة النصوص الغورجياسية فإن كلمة «أباتي» قد ترادفت بمفهومين، الأول «tromperie" أي الخداع والثاني "leurre" والذي اطلقنا عليه الخداع الإغوائي الإغرائي الجذبي. حول هذه المفاهيم ، لنا التعليقات الموضوعية الآتية:

كلمة «leurre" تحيط بمعنى "الأباتي» أكثر من كلمة «tromperie" الخداع. لأن مفهوم "leurre" يتخذ له عدة معانٍ مرتبطة ومتفاعلة فيما بينها تعكس جوهر معنى مصطلح «الأباتي» اليوناني الاصل. فكلمة «leurre" تعني "قطعة جلد احمر على شكل طائر تلقى في الهواء لاستعادة الصقر إلى الصيد"[5] أي ان هذه العملية تحتوي على معاني الطعم والفخ والخديعة والاستغواء. أما

---

1 GHASSANG A., *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS* p. 110

2 - كامل عبد السيد صموئيل، ارتيمس ثلاسينوس، القاموس العربي-اليوناني ... المرجع المذكور، ص 89

3 - المرجع ذاته، ص 331

4 - المرجع ذاته، ص 93

5 - عبد النور جبور، إدريس سهيل، المنهل ... المرجع المذكور ، ص 609

قاموس لاروس المترجم إلى اللغة العربية ، فقد رادفها بمعنى «الطعم المزيف والخديعة»[1]، والطعم المزيف المصطنع يقابله بالفرنسية تعبير «un appat artificiel»[2] يتضح من شرح هذا التعبير ان كلمة "أبا» الفرنسية مشتقة من الأصل اليوناني «أباتي» ويتبين وجود فعل «Appater» في اللغة الفرنسية. الذي يعني " "إجتذاب بطعم» والذي يعني أيضا «أغرى» وكذلك فإن معنى «Appat» فهو طعم جاذب و "Appas" مع حرف "s" يعني «مغريات جاذبية وإشارة إلى صدر المرأة»[3]. إن الاستقرائية العلمية لمعاني هذه المفاهيم انطلاقا من منهجيات المقابلة والمقارنة المستمدة من القواميس تشير إلى أن مفهوم «الأباتي» اليوناني الأصل، الذي استعمله غورجياس لا يعني فقط الخداع رغم أن معنى الخداع يشكل طريقة مهمة من طرائقه. فلهذا المفهوم عدة معان وتمظهرات ومفاعيل، وهذا ما سيظهر معنا من خلال استقرائية التفكير الغورجياسي المتقاطع والمتوافق مع المعاني الواردة في القواميس المذكورة آنفاً. «فالأباتي» هو الخداع هو الإغواء، هو الإغراء، يستعمل طرق الجذب والإحتيال والتلاعب والتزييف، بهدف التضليل.

- مفهوم الأباتي من خلال السفسطائي غورجياس وطرق التضليل المتولدة عنه

- **تأثرية مفهوم «الأباتي» عند غورجياس بالميثولوجيا والتراجيديا اليونانية**

من خلال النصوص الغورجياسية يتبين ان لمفهوم «الأباتي» عدة

---

1 - قاموس لاروس، فرنسي - فرنسي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت 1993 ، ص 382

2 - المرجع ذاته

3 - عبد النور جبور، إدريس سهيل، المنهل ... المرجع المذكور، ص 59

معان ومفاعيل، وقد تأثر بالميثولوجيا اليونانية، إذ ورد هذا التعبير عدة مرات عند هوميروس وفي الألياذة. «يؤكد السفسطائي ان التراجيديا مع أساطيرها واختباراتها ولّدت «الأباتي»، الخداع الاغوائي الذي هو أكثر تطابقاً مع الواقع»[1].

2 ـ طرق «الاباتي» الكلامية التضليلية عند غورجياس

أ - الخداع

إن «الاباتي» عند غورجياس يحتوي في تكوينه البنيوي على أحد أهم عناصر التضليل الا وهو عنصر الخداع، ويظهر ذلك من النصوص التي تناولت الفكر الغورجياسي «الاباتي يتولد من «النشاط الفكري الخادع»[2] والتعرف إلى «الاباتي» كما هي الحالة بالنسبة إلى الخديعة»[3] «والاباتي هو كل خديعة مهما كانت»[4] وهو «العمل الخداعي الصائب»[5] والخداع هو «خداع الهي»[6] ويترافق الخداع عند غورجياس مع طرق تضليلية أخرى تكمله وتفاعله وترتبط مفاعيلها بمفاعيله وهي :

---

1 - "La Tragédie, affirme le sophiste. Avec ses mythes et ses expériences produisit un leurre (Απατη) est plus conforme à la réalité..."
UNTERSTEINER MARIO, ***LES SOPHISTES***, TI, p.171

2 - (Απατη) "Activité de l'esprit (celui qui trompe)"
المرجع ذاته ، ص 166

3 - (Απατη) "Comme c›est le cas pour la tromperie»
UNTERSTEINER MARIO, ***LES SOPHISTES***, TI, p 167

4 - (Απατη) "Toute trompeuse qu›elle soit ...»

5 - المرجع ذاته
انظر بهذا المعنى، المرجع ذاته، ص 169 "Une action trompeuse juste»

6 - المرجع ذاته، ص 166. "La tromperie divine"

ب - الإغوائية والإغرائية والجذبية:

بالاضافة إلى ان مفهوم معنى كلمة «leurre" المرادفة لأباتي الذي يعني فعل الخداع هنالك حالة من التلازم بين هذا الفعل والمفاعيل الناجة عن عمليات الاغواء والاجتذاب المكاندي الكهانتي، الذي ينصب الفخوخ ويغري الفريسة بالطعوم المغوية الجذّابة، وهذه المفاعيل تولّد الطمع واللذة والفرح، «يصبح الاباتي اذن في ذات الوقت فرح العيش ولعبة الخيال في آن»[1] و«هكذا إذن فاللذة الجمالية والخداع الاغوائي عبارتان يتناولهما غورجياس بشكل مستمر»[2]. وتتمظهر هذه الحالات في التجربة الخداعية الاغوائية التي يولدها الفن وبواسطة استخدامية آليات يمكن وبحسب غورجياس، أن تختلق الوقائع المزيفة.

ج - إختلاقية الوقائع المزيفة

تنبني الحقيقة الواقعية على التطابقية والانسجامية والتوافقية بين القول والواقع، بين الفكرة والواقع، بين النظرية والواقع. أما إختلاقية واقع غير موجود وغير محسوس وغير متلمس وغير معاين، فهي إختلاقية تزييفية وهمية خيالية. وهذه الاختلاقية الوهمية المزيفة طريق من طرق التفكير الغورجياسي، والتي تحصل بواسطة الفنون، مثل الشعر والتراجيديا والرسم «ففي التراجيديا والرسم، أياً كان، يصبح فناً كاملاً في خداعه وإغوائه في خلق الأعمال المماثلة للواقع»[3] ان غورجياس لا يؤمن بالحقيقة الواقعية، الحقيقة له هي حقيقة نسبية،

---

1 - "(L'απατη) est donc à la fois joie de vivre et jeu de l'imagination" المرجع ذاته، ص 167

2 - Ainsi donc "plaisir" esthétique et "Leurre" se trouvent chez Gorgias..." المرجع ذاته، ص 274

3 - « Dans la tragédie et la peinture, quiconque leurre en créant des oeuvres semblables à la réalité est artiste accompli. » UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, TI. P. 170.

يخلقها ويعيشها حسب ما يرتئي، وحسب ما يشتهي. فإذا كانت الحقيقة الواقعية العلمية يتم التعرف اليها بواسطة المناهج المنطقية العقلية العلمية، فان الحقيقة اللاعقلانية الغورجياسية يتم التعرف إليها بواسطة «الأباتي» لأنه «بواسطة «الأباتي» الخداع الإغوائي، يمكننا أن نفهم بعمق الواقعية اللاعقلانية»[1].

د - الخلط والازدواجية والتخبط الفكري

إن جوهر "الأباتي» عند غورجياس هو في تكوينه تكوين مزدوج ومتناقض لأن تمظهراته تمتلك الطبيعة المزدوجة للخطأ والصواب[2] بصورة مترابطة ومتفاعلة لا انفصام فيها. هذه الطبيعة تحتوي على التناقضات والأضداد. لا يمكننا القول أن الخطاب المنطقي يناقض ذاته، ولا يمكن للمقدمة أن تناقض النتيجة. فالحكم المنطقي إما أن يكون نفياً أو إيجاباً. أما الحكم الذي يتكوّن في ذات الوقت من النفي والإيجاب يشير إلى التناقض، هذا التناقض في القول عبر الخطاب الملفوظ يؤدّي إلى الإزدواجية، وإلى التخبط الفكري الناتج من عملية التضليل. ان مبدأ التكوين الازدواجي المتناقض ينطلق منه غورجياس في كثير من المجالات وهذا المبدأ يسمى «Ambivalence“ «أمبيفالانس»، وسنتطرّق إليه لاحقاً.

هـ- الإحتيال

إن آلية الاحتيال عند غورجياس تتولد من عمليات «الجاذبية»

---

1 - "... grâce au "leurre" à comprendre en profondeur la réalité irrationnelle ..." المرجع ذاته، ص 272

2 - (Aπατη) aussi leurs manifestations possèdent la double nature du Faux et du Vrai » «، وتمظهرات الاباتي ايضاً، تمتلك الطبيعة المزدوجة للخطأ و الصواب» المرجع ذاته، ص 176.

و«الإفتان» و«التخيّل» والتي تؤدي إلى بث اللذة والفرح في النفوس. فالكلام الفتّان الجذّاب يوّلد الخيال الجذاب ويفتن النفس فتؤخذ به، وهذا ما يولّد نسيان الواقع الحقيقي، والدخول في عالم الخيالات. ويتحقق الإحتيال الممارس من قبل اللوغوس الكلامي على الواقع الحقيقي. وتتولّد وقائع خيالية لذيذة تماماً كما هو مفعول المخدرات التي يستخدمها المدمنون، للإحتيال على الواقع الحقيقي، فيظنون انهم يعيشون في عالم إلهي « يجعل الافتان الانجذابي الإحتيال إلهيا»[1].

و - الإيهامية

إنّ الإيهامية طريقة من طرق التضليل التي يستخدمها «الأباتي»، والتي هي تركيب من تركيباته البنيوية، وآليتها تكمن في بث الوهم في النفوس والأذهان، والوهم يؤدي إلى الرؤية السرابية، التي تجعلك تعتقد وتظن ان تخيلاتك الوهمية حقائق واقعية، أما الحقيقة فتكون متناقضة للواقع. وهذه الإيهامية تؤدي إلى الخداع والتضليل. والإيهامية التضليلية عند غورجياس تمارس من خلال اللوغوس الكلامي الخطابي، المتضمن في غالبيته، وجوه البلاغة والفصاحة والشعر، الذي يعتبره غورجياس انه «وهم مبرر» "Illusion justifiée" (Sikéa) (Απατη σικαια) «إنّ عمل الشعر يكمن بخلق الوهم لأنّ هذا العمل ليس بمتطابق مع الواقع، لكنّه وهم متمنّى وحسن، لأنّه يخلق الإنسجام الفكري الذي يسمّيه غورجياس عدل وحكمة»[3].

1 - "Le charme rendant divine la ruse" UNTERSTEIER MARIO, *LES SOPHISTES*. TI, P.167.

2 - DIIERBEY - GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*. P.43

3 - "L'oeuvre de la Poésie est donc créer l'illusion, parce que cette oeuvre n'est pas conforme au réel, mais illusion souhaitable et bonne parcequ'elle crée une cohérence mentale que Gorgias nomme justice et sagesse."

ليس المهم إذاً عند غورجياس التطلع إلى الحقيقة الواقعية العلمية، وليس المهم عنده أيضا التعرف إليها بالطرق المنطقية المنهجية الموضوعية، لأنه لا يؤمن بالحقيقة وبالمناهج العقلانية العملية المؤدية إليها. فالوهم عنده مصدره التخيلات العاطفية الغرائزية وهو غامض متغير يترتب حسب الميول والاستعدادات الانفعالية على غير قاعدة، ودون ربط منطقي بحيث انه يتألف من العواطف والانفعالات والأفكار المتمازجة بعضها البعض. هدفها اللذة النفسية والفرح النفسي والتعويض النفسي. وهذه الأهداف برأي غورجياس تبرر وجوبية وجوده، لأنه يؤدي في رأيه إلى حالة انسجام وتناغم في النفس، وحتى لو كان هنالك تناقض وتخالف مع الواقع، وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى أن هنالك عدة أنواع من التخيلات. ونميز بين التخيلات

الوهمية، والتخيلات العلمية التي يستخدمها العلم، الذي يبحث عن الحقائق الجديدة والتي لا يمكنه الوصول إليها إلا بطرق الافتراض والافتراضية تستلزم التخيّل.

إن كل طرق التضليل التي أشرنا إليها، والتي يستعملها غورجياس من خلال «الأبَاتي» كان يوظّفها في تعاليمه، وفي خطاباته السياسية من خلال «الاقناعية التضليلية الخبيثة» فما هي هذه الاقناعية التضليلية وما هي آلياتها:

3 ـ آليات التضليل بواسطة اللوغوس الكلامي

إن من أهم المكونات البنيوية للوغوس السفسطاني، هو المكوّن الكلامي الذي من خلاله وبواسطته يمارس اللوغوس مفاعيله وتأثيراته التضليلية، والتضليل الكلامي يتمظهر بواسطة التفكيرات اللفظية الفارغة، وبواسطة الكلام القووي المتسلط حيناً أو المغري الاغوائي الذي يخفي في بطونه الخبث، والرياء والخداع، ويلبس في ظاهره لبوس الشعر والتنميقات والأصوات

اللفظية النغمية، المتمظهرة كألحان موسيقية، تجتذب الغرائز والعواطف والمشاعر. لأنه، وبحسب غورجياس، «لكل نمط موسيقي تأثيره الخاص على النفوس»[1]، التضليل الكلامي الذي يمارسه اللوغوس السفطائي، يتأسس على القولية الجدلية التي تعتمد على المماحكة والمخاتلة والمراوغة والمواربة، وعلى تلاعبية الألفاظ والمعاني والمفاهيم، موظّفة تقنيات البلاغة والفصاحة والمتجسدة بالخطابة. ومن أهم آليات التضليل الكلامي.

1 - الإقناعية الخبيثة

يجب التميز بين الإقناعية التضليلية الخبيثة السرية والإقناعية العلمية. الإقناعية العلمية الموضوعية المنهجية، مبنية على الأدلة العقلية والبراهين العلمية المؤسسة على الشواهد والإثباتات، وعلى آليات الاستقراء العلمي، أما الاقناعية التضليلية فلا تستند إلاّ إلى التضليل الكلامي واللفظي من أجل السيطرة، والانتفاع والتسلط. ومن العناصر المكونة للاقناعية التضليلية :

- رضى المقتنع وقبوله بالكلام وبالرأي الموجهين إليه : من هنا القول «اقتنع بالشيء رضي به... ورجل قنعاني: يرضى برأيه»[2] والقول كذلك «الإقناع هو الرأي والفكرة التي تعرض على شخص لجعله يقبل هذه الفكرة أو يقوم بعمل معيّن»[3].

- الإذعان: إن عملية الإقناع تفترض «إذعاناً نفسياً»، بحيث أن المضلِّل

---

1 - "Chaque mode musical exerce une action particulière sur l'âme" DHERBEY - GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*. P.43

2 - المنجد في اللغة والإعلام ... المرجع المذكور، ص 657

3 - بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ... المرجع المذكور، ص 312

(بفتح اللام) يؤمن بالكلام الموجه إليه، ويسلّم به، فيخضع له وبذلك يتولد الإقناع والإقتناع.

- التأثيرية العاطفية الخيالية: الإقناعية الكلامية تفعل وتؤثر اكثر من القوة[1] المادية لان المتكلم يستعمل الخيال والعاطفة في حمل الخصم على التسليم بالشيء. «وإذا علمنا ان معظم الناس يتأثرون بالخيال والعاطفة أدركنا ما للقدرة على الإقناع من اثر في سيطرة الخطباء على الجماهير»[2].

- التضليل: إن القياس الاقناعي هو قياس تضليلي لأنه «قياس خطابي مركب من المشهورات والمظنونات»[3].

خصائص الإقناعية الخبيثة[4] عند غورجياس

يعتبر الخبث السياسي طريقاً من طرق التضليل الممارس في الخطاب السياسي الملفوظ والمسلوك والمكتوب، وبخاصة في الخطاب السياسي الداخلي، الذي هو خطاب الحوار الذاتي المسمى خطاب النيّات الميّتة، المتناقض للخطاب الخارجي. والإقناعية الخبيثة هي إقناعية سياسية، مارستها الحركة السفسطائية في الحياة السياسية اليونانية وخاصة عبر «الخطابة»، إنها اقناعية مخادعة «مواربة»[5] ومن خصائصها.

- القدرة والقوة والاستطاعة على سحر السامع : «الإقناعية تحتوي في

1 - انظر في هذا المعنى، صليبا جيل، للمعجم ... المرجع المذكور، الجزء الأول، ص ١١١

2 - المرجع ذاته، ص 112

3 - انظر في هذا المعنى، المرجع ذاته، ص ١١١

4 - «الاقناعية الخبيثة» "La Persuasion maligne"
UNTERSTEINER MARIO, ***LES SOPHISTES***, TI, p.178

5 - «مواربة الإقناع» "Le biais de la persuasion" المرجع ذاته، ص 283

ذاتها على هذه القدرة السحرية»[1] التي تمارس سحرها بواسطة الإغراء والجاذبية المُلِذة فتصبح «قدرة الإغواء»[2] «والقوة التيّ لا تقاوم»[3].

- الكمون الباطني: الإقناعية الغورجياسية تحوي في باطنها أهدافاً وغايات ونوايا كامنة مخفية، خابتة غير ظاهرة، سرية لا يدركها من تمارس عليه، إنما يرى مفاعيلها الخارجية الظاهرية العذبة الحلوة الجميلة.

- المكر والفعالية: الاقناعية الخبيثة هي «إقناعية فعّالة»[4] مؤثرة. وتأثيرها الجذاب آني، إنها تثير العواطف والمشاعر والغرائز إثارة إغوائية، ولكنها ماكرة لأنها تؤدي لاحقا إلى الإيذاء والحاق الضرر، والذي تكون مفاعيله لاحقة. فبعد الإفتتان المؤقت هنالك التضليل والخداع اللاحق، وبعد التخدير الآني هنالك الوجع والألم وكما يقال في المثل الشعبي «عندما تروح السكرة تجيء الفكرة».

ب - السيطرة القووية «للوغوس» الكلامي على الذوكسا (Δοξα) أي الراي (DOXA)

الإقناعية بالنسبة للسفسطائي غورجياس تتولد نتيجة الأمور الأتية: الأمر الأول وجود اللوغوس ومفاعيله القووية، الامر الثاني عجز الذوكسا وضعفه والامر الثالث آلية الإرغام التي يمارسها اللوغوس القووي على الذوكسا الضعيف.

---

1 - "La Persuasion contient en elle-même ce pouvoir magique"
المرجع ذاته، ص 175

2 - "Le pouvoir de séduction" المرجع ذاته، ص 178

3 - "L'irrésistible force de persuasion" ، المرجع ذاته، ص 282

4 - "La Persuasion efficace"
UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, TI, p.178

ج ـ الأمر الأول- وجودية اللوغوس الكلامي القووي :

إن وجودية اللوغوس الكلامي، وممارسته القووية على الذوكسا الضعيف، تؤديان إلى عملية الإقناع، ومن خلال غورجياس يتبيّن أن اللوغوس يظهر على انه قوة قائمة بذاتها، إذ أنه يتمتع بالحركة والديناميكية[1] التي تشكل عناصر التأثير «فحيث ما يوجد تأثير يكون اللوغوس»[2] الذي له «سلطة الإقناع والخداع الإغوائي»[3] فهو يمارس فعل السيطرة على الذوكسا أي الرأي[4] ويشكل ضرورة له[5] فلا يمكن للرأي أن يتحرر بأي شكل من اللوغوس، إنه «العنف السحري»[6] «في غاية العظمة قدرته»[7] عند غورجياس، والممارسة القووية للوغوس عنده تتجلى بمظهرين أساسيين.

---

1 - "Le dynamisme du Logos" "دينامية اللوغوس"
المرجع ذاته ، ص 174

2 - "Où il y a action se tient Le "LOGOS"
المرجع ذاته

3 - " Pouvoir de persuader et de leurrer"
المرجع ذاته، ص 165

4 - "Le LOGOS" domine la "DOXA"
«اللوغوس مسيطر على الذوكسا»
المرجع ذاته، ص 284

5 - "La nécessité du LOGOS en regard de l'opinion"
ضرورة اللوغوس إزاء الذوكسا
المرجع ذاته، p 175

6 - "La violence magique"
المرجع ذاته، ص 164

7 - Immense est la puissance du "LOGOS"
المرجع ذاته، ص 172

المظهر الأول: «مظهر القوة السحرية» التي تولّد «العنف السحري» الذي ينتج مفاعيل الإغواء والسحر والاجتذاب واللذة، وقد أسلفنا الحديث عنها، وتمثل بكلام التشويق والترغيب والتملق بالإقناع الكلامي الناعم، الشاعري، العذب، الجميل، الذي يدغدغ العواطف والمشاعر والغرائز، الذي ينتهج مثلا أسلوب المديح والإطراء والتبجيل والتعظيم والتفخيم، يعتبر غورجياس: «اللوغوس المتحقق كقوة سحرية المحدد على انه» ديناميس «القوة» والذي بسحره يتسلل في رأي النفس، بطريقة تؤدي إلى تغيير الإرادة وإنتاج الإنجذاب الإغوائي الخداعي، والنجاح في الإقناع، تسوق كل هذه العملية، إلى سلوكية التغيير والتبدل في رأي النفس، والتي يمكننا الحصول عليها بوسيلتين فنيتين ألا وهما الشعر والنثر»[1].

المظهر الثاني: القوة الكلامية السلطية التي تحمل معاني السيطرة والتهديد

Le «LOGOS qui s›est manifesté comme puissance magique en vient - l à se définir comme (DYNAMIS), laquelle, grâce à un ensorcellement par fascination s›insinue dans l›opinion de l›âme, en sorte de modifier la volonté, de produire le leurre (Απατη) et de réussir à persuader. Tout ce processus débouche sur changement de "l'opinion" de l'âme, que l'on peut obtenir au moyen de deux arts, la poésie et la prose d'art"

المرجع ذاته، ص 173

ملاحظة: يرادف المترجم هنا كلمة «puissance" الفرنسية بالكلمة اليونانية (ديناميس) (Δυναμις) . إن هذه الكلمة الأخيرة في اللغة اليونانية يغلب عليها معنى «القوة» المادية، (Force Physique) انظر بهذا الصدد

GHASSANG. A. *Nouveau Dictionnaire Grec – Français*, p. 268.

وانظر كامل عبد السيد صموئيل وارتيميس ثلاسينوس، قاموس عربي- يوناني، ص 303. أما كلمة puissance فتعني القدرة، وهنالك بعض التمايزات بين مفهومي «القدرة» «والقوة»، رغم وجود بعض التفاعلات المعنوية فيما بينهما، لذلك آثرنا مرادفة كلمة ديناميس بكلمة القوة بدل كلمة القدرة.

والوعيد والتحريض والتشوير والحض على استعمال القوة والعنف والتسلط. ذلك أن مسألة العنف التي يستعملها غورجياس للدلالة على مفاعيل اللوغوس القووي، قد استمدها من هراقليطس[1] كما قد سبق وأشرنا، الذي تحدث عن العنف المادي الفيزيقي، وقد استبدل غورجياس «المادي الفيزيقي» بصفة «السحري» للدلالة على مفاعيل اللوغوس العنيفة التي تؤثر في القوى الروحية عند الإنسان تماما كما هي مفاعيل القوة المادية التي تؤدي إلى إلحاق الأذى المادي بالإنسان.

د ـ الأمر الثاني- عجز الذوكا (DOXA) أي الرأي

- الذوكا هو الظن الذي يمكن أن يؤدي إلى التضليل

هنالك حركة ترادف متفاعلة بين مفهوم «الرأي» و«الظن» فالذوكا (Δοξα) في اللغة اليونانية له معنى "الرأي"[2] والظن[3]. هذا يؤدي إلى القول، إلى ان الرأي يحمل في جوهره امكانية الريب والخطأ والتخمين والشك. وهذا

---

1 - ان عبارة «العلاقة الغامضة بين الفيزس واللوغوس» والتي كان قد أطلقها هيرقليطس انطلاقا من العنف الفيزيائي، حصلت عملية انسحاب لمعناها على معنى العنف السحري ، ذات الفحوى الروحية.

" L'expression de la «mystérieuse relation entre Physis et Logos» qu'Héraclite avait déjà énoncée. A partir de la «violence" physique, un glissement s'est opéré dans le sens de la «violence magique, laquelle est spirituelle ..."

UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T.I, p. 165.

2 - كامل عبد المسيح صموئيل، ارتيميس ثلاسينوس، القاموس العربي اليوناني ... المرجع المذكور، ص 124

3 - المرجع ذاته، ص 222

يؤكده ما ورد في موسوعة لالاند الفلسفية فتحت عنوان "DOXA" "ذوكسا" جاء أنه "حالة ذهنية، قوامها التفكير، بأن قولا قد يكون صحيحا لكن مع التسليم بامكان الإنخداع ... والرأي العام أو الرأي هو الحكم الجماعي المطلق على واقعة، أو على اعتقاد من قبل مجتمع معين، بهذا المعنى، لا تتضمن الكلمة بالضرورة الوعي لدى هؤلاء الذين يتقاسمون هذا الرأي من الريب وإمكانية الخطأ»[1]. لذلك أعلن افلاطون حالة التعارض القائمة «بين الرأي (الذوكسا) والعلم، وبين الرأي والفكر العقلاني"[2].

إن الرأي هو حالة تفكيرية فردية ذاتية خاصة، يمكن ان تكون صائبة أو تكون خاطئة ومخادعة ، ويمكن ان تحمل خلفيات أو أهدافا أو غايات نفعية مصلحية، تؤثر وتشوّش وتضلّل السامعين، انطلاقا من هذه المفهومية نجد ارسطو مهاجما للسفسطائي إيزوقراطس الذي يعتمد التضليل الاقناعي عبر «الخطابة» التي تنتهج طريق الرأي الخاص الذاتي المؤسس للتأويلية النسبية، والتي يمكن ان تتحوّل إلى تأويلية تضليلية. ففي كتابه «الخطابة» إعتبر أرسطو أن الرأي لكي يكون صائبا يجب أن يُبرهن عنه. ومن المناهج البرهانية عنده، أن يثبّت الرأي بالقول المتطابق مع الأمثال الواقعية المختبرة والمحققة فعليا، وميدانيا، المجرّبة على ارض الواقع، وهو يقول «وقد تليق صنعه الجنومولوجيا (الكلام بالرأي) من الإنسان للشيوخ وذلك فيما جربوا وخبروا من الأمور»[3]. لان المسنين عندهم الخبرات والتجارب في الحياة . إن ارسطو يعتبر أن «الرأي» يجب الا يتأسس على البلاغة والفصاحة والوصف كما فعل ايزوقراطس السفسطائي «ان الرأي قضية ليست في الأمور المفردة كالوصف لسقراطيس»[4] أي (ايزوقراطس). إنما يجب أن

---

1 - لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ،ص 914

2 - المرجع ذاته

3 - ارسطو ، الخطابة ... المرجع المذكور ، ص 145

4 - المرجع ذاته ، ص 142

يتأسس على تطابقية الكلام مع الواقع، وبذلك تتشكل الحقيقة.

- **عجز «الذوكسا» (الرأي) وضعفه**

إن غورجياس كما تلميذه ايزوقراطس، يعتبر أن آليات عملية التضليل تعتمد على قوة اللوغوس الذي يمارس مفاعيله القووية وتعتمد أيضا على وجود «الذوكسا غير القادر»[1] القاصر، العاجز عن مواجهة اللوغوس، «لأنه قليل الوثوقية وغير ثابت بحيث يرمي مداره التضليلات»[2]، «إنه حالة الفكر الممزّق بالتناقضات»[3] ذات الطبيعة السلبية الساكنة[4] «وتقابل سلبيته حراكية اللوغوس»[5]، فيصبح اللوغوس الفاعل المؤثر المحرك ويصبح الذوكسا في حالة الانفعال والتأثر. لذلك يعتبر غورجياس ان اللوغوس متفوق على الذوكسا[6]

---

1 - "La (DOXA) Incapable"

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T.I. p.173

2 - "L'opinion qui est peu sûre et instable et de ce fait, jette à l'entour d'égarments"

المرجع ذاته

3 - "La DOXA est l'état de l'esprit déchiré par les contraires"

DHERBEY-GILBERT ROMEYER, *QUE SAIS-JE, LES SOPHISTES*. P.41

4 - «الطبيعة السلبية الساكنة للذوكسا» "La nature passive et statistique de la DOXA"

LES SOPHISTES, T.I. p.175

5 - "A la passivité de l'opinion (DOXA) s'oppose le dynamisme du "LOGOS"

المرجع ذاته، ص ١٧٤

6 - "Supériorité du LOGOS sur la DOXA"

"تفوّق اللوغوس على الذوكسا"

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*, T.I. p.173

يترأسه يديره يحركه يفرض مفاعيله القووية عليه، فتنشأ عن ذلك عملية إرغامية اللوغوس للذوكسا والتي تؤدي بدورها إلى تسلط اللوغوس على الذوكسا والسيطرة عليه وتوجيهه.

هـ- الأمر الثالث- اللوغوس الكلامي القووي يمارس إرغاميته على الذوكسا (الرأي) الضعيف، فيحصل التضليل

ان اللوغوس القووي يفرض على الذوكسا العاجز ارغاما قهريا ليست له الطبيعة المنطقية أو العقلية بحسب غورجياس. لأن «الإرغامية المنطقية، والوجوبية المنطقية هي في ذاتها مزدوجة ومتناقضة»[1]. إنه إرغام له «سلطة الإغواء»[2] انه إرغام عاطفي، غرائزي، تحريفي، تثويري، هذا النوع من الإرغام الذي يمارسه اللوغوس، يقهر ويتغلب على الذوكسا، يؤثر فيه، داخليا، يتلاعب به، يخدعه، يوجهه، يقوده إلى حيث يشاء، يُقنِعه يضلِّله (بكسر اللام).

+ التمظهرات العملية المعاصرة لممارسات اللوغوس الكلامي القووي على الذوكسا (الرأي) العاجز وطريقة الضرب بالمطرقة (Matraquage)

- **المماثلة بين مطرقة الكلام الدعائي واللوغوس الكلامي القووي**

لا تزال تأثيرات الأصول الفكرية للحركة السفسطائية فاعلة حتى يومنا

---

1 - "La contrainte logique la nécessité. Logique, est elle même ambivalente" المرجع ذاته، ص 178

2 - "Pouvoir de séduction" المرجع ذاته

هذا وفي المجالات الإنسانية كافة. وفلسفة غورجياس السفسطائية القائمة على قاعدة أن اللوغوس الكلامي القووي الذي يفرض إرغاميته وقوته على الذوكسا أو الرأي العاجز الضعيف المشتت، فيخضعه لمشيئته مولدا بذلك «الإقناعية الخبيثة» ليست سوى تمظهر من تمظهرات طرق التضليل.

هذه الفلسفة نجد تجلياتها في الدعاية السياسية بجميع وسائلها وآلياتها. القاعدة الغورجياسية اقتبستها الدعاية المعاصرة اقتباساً يكاد يكون حرفيا مع بعض التعديلات الاسمية لتبسيط فهمها أمام رجال السياسة والدعاية، فأطلقت عليها اسم طريقة الضرب بالمطرقة (Matraquage)، وقد رودفت في اللسان العربي "بالمقمعة"[1] ومن مفاعيلها الضرب باستخدام القوة، المماثلة لمطرقة الحدّاد، التي تطرق الحديد لتمدده وترققه لتليّنه[2] ليصنع به القوالب التي يريدها، وتستخدم أيضاً كمقمعة لضرب الفيل القوي البنية على رأسه لتقمعه[3].

اللوغوس الكلامي القووي يتكوّن من عناصر قووية، والإعلام القووي يتألف بغالبيته من الكلام القووي، والمطرقة المقمعة هي تمثيل للقوة الكلامية القامعة، وكما أن اللوغوس الكلامي القووي يمارس قوته على الذوكسا (الرأي) الضعيف، فيرغمه ويقهره ويخضعه، كذلك هي مطرقة الدعاية التي تضرب

---

1 - مطرقة، مقمعة: Matraque الضرب بالمطرقة: Matraquage
راجع عبد النور جبور وادريس سهيل، المنهل ... المرجع المذكور ، ص 651

2 - طرق طرقاً، طرقه: ضربه بالمطرقة، وطرق الحديد: مدّده ورققه
انظر ، المنجد في اللغة والأعلام ... المرجع المذكور ، ص 464

3 - المقمعة: وهي من فعل القمع ، ومعنى القمع في اللسان العربي: كما تم نقله الى الفرنسية هو:
Frapper, cogner quelqu'un à la tête.
Frapper l'éléphant à la tête avec un instrument de fer recourbé
Kazimrski, *Dictionniare Arabe - Français*, T2, p.81

الرأي بضربات متلاحقة لتليّنه ولتصنعه صناعة متناقضة لإرادته.

مطرقة اللوغوس القووي التي تستعملها الدعاية المعاصرة، تستخدم كما استخدم غورجياس الضربات القووية التي تمس العواطف والغرائز والأهواء. والقول أن مطرقة الدعاية تضرب الوجدان الجماعي، والرأي العام بأسره، هو قول مبالغ فيه، ويقع في خطأ التعميم المنهجي. أما القول بأنها تسلط على غالبية الآراء، فهو قول قد تحققت كلماته واقعياً لأن غالبية الناس لا تهتم بالمنطقيات والمنهجيات العقلية والعلمية ويزعجها التدقيق والتحقيق في البحث، ان الرأي العام يهتم لما يثيره ويلذه، ويتأثر بما يخيفه أو يرهبه. فكيف يمارس اللوغوس الدعائي طرقه للذوكسا (الرأي)؟

و - التمظهرات العملية المعاصرة لممارسة اللوغوس الكلامي قوته على الذوكسا (الرأي) العاجز، وطريقة الضرب بالمطرقة (matraquage)

تنتهج مطرقة اللوغوس الكلامي الدعائي لإخضاع الذوكسا وتضليله آليات متسلسلة ومترابطة، تبدأ المطرقة الدعائية بضرب الذوكسا (الرأي) بضربات متكررة ومتلاحقة ببث الفكرة المضلِّلة (بكسر اللام) دون انقطاع، لتستجلب انتباه الرأي وتركيزه، بحيث يتشتت عن الأفكار التي تهمه، والترداد المتلاحق للطرق الإعلامي للفكرة الواحدة المضلِّلة (بكسر اللام) يتلبس عدة وجوه ويتقنع بها[1] ويؤدي إلى زرع الفكرة في وجدان المضلَّلين (بفتح اللام)

1 - إنّ الفكرة الواحدة المضلِّلة (بكسر اللام) تتقنع بعدة أقنعة إعلامية ودعائية، وتتلبس لبوساً مختلفة، وهذه القاعدة تسمى في علم الدعاية «توزيع الأدوار» وهي قاعدة تضليلية تخدع الرأي العام وتسيطر عليه، يتم طَرق الفكرة بطرقات إعلامية متعددة لأن وسائل الدعاية الإعلامية في تطور مستمر، فتُبث الفكرة نفسها في الإذاعات والتلفزة، وتروّج لها التصريحات الملفقة والاستفتاءات الشعبية المزورة، وتتناولها مجالس الخطابة اللفظية الفارغة، وتعرضها اليافطات والملصقات، وتُسخر لها الشعارات المموهة والمظاهرات المصطنعة، وتجيش لها زوايا الانترنت. الفكرة الواحدة المضلِّلة تتردد ذاتها بأساليب ووسائل مختلفة.

بالقوة، وهذا الزرع القووي يؤدي إلى تحطيم حصانة الرأي وتعطيل قدرته على التميز بين الخطأ والصواب، فيقمعه دون أن يترك له الحرية في أخذ الخيار الحر، فتحصل عملية التماهي والتذاوت بين الفكرة التي يطرقها اللوغوس الإعلامي القووي والرأي فيستسلم الرأي[1].

4 - التضليل النفسي عند غورجياس بواسطة «البسيكاغوجيا»

أ- البسيكاغوجيا (psychagogie) والحرب النفسية - السياسية

إن الحركة السفسطائية كما يتبين لنا من الدراسات النصيّة الاستقرائية القرائية والتحليلية، تتجسد في الواقع حركة صراع وصدام طالت الفكرين الفلسفي والسياسي*، وطالت الخطابات الملفوظة والمسلوكة والمكتوبة، هذه الحركة الصراعية الصدامية تهدف إلى السيطرة السياسية والتسلط السياسي. وهذه الهدفية تستلزم وسائل فعالة، أهمها وسيلة التضليل الموجهة إلى المكوّنات السيكولوجية للإنسان، الذي هو كائن فعال بمفرده، ومن حيث اشتراكه في المجتمع السياسي. فالجماهير الشعبية هي الهدف الأساسي «للسياسة» وللدراسات السياسية. السياسة تختبر ذاتها إنطلاقاً من تجربتها الواقعية المتجسدة في العلاقات التفاعلية القائمة بين البشر. المتمثلون بأشكال وصيغ متعددة، مؤسسات، هيئات، جماعات، أحزاب، قادة، جماهير، دول الخ... .

---

1 ـ إن الطرقات الإعلامية المرددة والمتكررة تخدر الرأي وتجعله مستسلماً مشتتاً عاجزاً عن المعارضة والرفض، ينجم عن ذلك سأم النفس ويأسها، بحيث أنها تتمنى أن تسلّم بكل ما يفرضه اللوغوس القووي الدعائي عليها مقابل أن تتخلص من مفاعيله القووية من إرغام وإخضاع ولجاجة وملاحقة، فيحصل استلام الذوكسا (الرأي) للوغوس الدعائي.

* الصراع السياسي والفلسفي نعني به الصراع الذي كان يدور رحاه بين الحركة السفسطائية والحركة الفلسفية السقراطية الأفلاطونية الأرسطية.

«البسيكاغوجيا، فن قيادة النفوس»[1] وقيادة الجماهير، وهذه القيادة في مفهومية الحركة السفسطائية، ليست قيادة إلى الأخلاق والقيم، لأن زعماء هذه الحركة وغالبية البارزين فيها، لا يؤمنون بالأخلاق وبالقيم كما بينا. ان تلك القيادة هي قيادة خبيثة ماكرة، يهمها الانتفاع والمصلحة والإنتهاز وهدفها النجاح والسيطرة. وكما أن هدف البسيكاغوجيا لا أخلاقية، كذلك هي وسائلها وطرقها وآلياتها.

البسيكاغوجيا عبر اللوغوس الكلامي المضلل تقود النفوس والجماهير مغتصبة إياها بخبث ومكر ومخادعة، مستخدمة التلاعب والإغواء والاقناع، والتأثير في العواطف والغرائز والمشاعر ومكونات النفس الإنسانية. إن «البسيكاغوجيا» التي أسس قواعدها وآلياتها السفسطائي غورجياس ومارسها في البولِس اليونانية لا تزال تمارس اليوم تحت أسماء وعناوين مختلفة «الحرب النفسية»، «الحرب المعنوية»، ويعود الفضل للحركة السفسطائية وبخاصة إلى

(ψυχαγωγια) Psychagogie : art de conduire les âmes - 1

MARIO UNTRSTEINER, *LES SOPHISTES*, T.I, p. 283

هذا التعبير اليوناني الأصل مؤلف من كلمتين، الأولى (ψυχη) (PSYCHI) (بسيخي) اي النفس، والثانية

(Αγωγος) (AGOGÔS) (أغوغوس) اي القائد الموصل وهذه الكلمة وليدة فعل (Αγω) (AGO) (آغو) ومعناه وجّه (DIRIGER) ومنه التوجيه.

انظر في هذا المعنى :

GHASSANG. A., *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*, p.14-15.

وأيضاً:

الفغي محمد عبد الرحمن وفيليب غليس ، قاموس يوناني عربي ... المرجع المذكور ، ص 5 و 6.

هذا يعني ان البسيكاغوجيا هي طريقة في التضليل النفسي، تؤدي الى قيادة النفوس وتوجيهها توجيهاً تضليلياً وتلاعب بها بهدف التسلط والسيطرة عليها.

بروتاغوراس وغورجياس وايزوقراطس، في تكوين «فلسفة التضليل السياسي» بكل مجالاتها العقلية واللفظية والى غورجياس لجهة التضليل السياسي الموجه إلى النفوس. ليس على مستوى التنظير فقط إنما أيضا على مستوى التطبيق العملي الممارس في البولِس اليونانية.

ب ـ أهم قواعد التضليل التي تستخدمها البسيكاغوجيا الغورجياسية.

القاعدة الأولى - قابلية النفس للتضليل

ينطلق غورجياس في ممارسته التضليل على النفوس والتلاعب بها، من قاعدة ان النفس الإنسانية في طبيعتها قابلة للتضليل، وهو يرتكز على الأمور الآتية:

ـ الأمر الأول: استسلام النفس للمؤثرات الخارجية وخداع الحواس.

بالنسبة للسيكولوجيا الغورجياسية، «النفس بصورة جوهرية وأساسية سلبية لا تقاوم، إنها بكلّيتها «تستسلم لما تتلقاه من الخارج»[1] هذا التلقي، يكون دون مقاومة، أو ممانعة، فالنفس تكون غير محصنة، «يأخذ غورجياس مثل الخوف النابع من رؤية أسلحة الحرب الماثلة للأعين كمشهد إستعراضي ، حين يهتزّ النظر وتهتزّ النفس ، رغم أنه ليس من خطر حقيقي يهددها، ثمة العديد من الذين

---

1 - L'âme est essentiellemnt passive, toute entière livrée à ce qu'elle reçoit du dehors"

DHERBEY- GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*, p. 45

يشاهدون أدوات الحرب هذه، يصابون حينئذ بحالة هلع ، بقدر ما رسمه النظر في نفوسهم من صور الأشياء التي أدرِكَت».[1]

إن عملية التضليل النفسي هذه، تستخدم بين الدول وبين الجيوش ضمن ما يسمى «الحرب النفسية» من ضمن إطار التهويل، والتخويف، والتهديد، باستعمال القوة، ولبث الرعب والخوف في نفوس القادة، ولقتل معنوياتهم. وإذا فككنا تفاصيل هذا المثال الغورجياسي نجد ان مشهديه القوة العسكرية هولت على النظر فقلبته والذي بدوره اثر في النفس وقلبها من حالة الطمأنينة إلى حالة الخوف، ومن حالة السكينة إلى حالة الإرباك. إن حاسة النظر أثرت في النفس وتلاعبت بها. النظر نقل إلى النفس احساسات مفاعيل هذه القوة العسكرية على أنها تقوم فعليا وواقعيا بأعمال القتال والتدمير. بيد ان الواقع الحقيقي مغاير لهذه الاحساسات، لأنه فعليا وعمليا، القوة العسكرية هذه، لم تنفذ أي أعمال حربية عسكرية.

- الأمر الثاني: المؤثرات الكلامية في النفس

ينطلق غورجياس في ممارسة التضليل على النفوس والتلاعب بها، من قاعدة أن النفس الإنسانية قابلة للتضليل، كما هو الحال بالنسبة للذوكسا، وذلك

---

1 - Gorgias prend l'exemple de la « peur qui vient de la vue ». Que l'on donne des armes de guerre en spectacle aux yeux, alors la vue « est bouleversée et bouleverse l'âme » : quoique aucun danger réel ne les menace, bien des spectateurs de ces engins guerriers sont alors en proie à la panique « à tel point la vue a dessiné dans leur esprit les images des choses qu'ils ont perçues ».

المرجع ذاته، ص 45 و 46

بفعل التضليل الكلامي، الذي يمارسه اللوغوس، «يشتت اللوغوس بواسطة الخداع الإغوائي نفسي وإرادتي»[1] ويعود ذلك إلى ان غورجياس الذي يعتبر إنّ سلبية النفس وعدم مقاومتها يكمن في انفتاحها على الكلام»[2] ان اللوغوس الكلامي عند غورجياس يمارس فعالية تأثيرية في النفس من أجل تضليلها بواسطة «الإقناعية» وقد تطرقنا إلى هذه القضية، وهو يعتبر أيضاً «ان الاقناعية تتضمن البسيكاغوجيا وتشملها»[3] معتبرا إيّاها وسيلة تضليل كالخداع والإغواء.

- الأمر الثالث: الإيحائية

إن الإيحاء يلعب دورا فعالا في عمليات التضليل الموجه إلى النفس الإنسانية. لكي يتحقق الإيحاء يفترض وجود مسببات خارجية برانية تؤثر في النفس وتولد فيها شعورا جديدا أو تبدل شعورها السابق، وهذه المؤثرية تغيّر توجهات النفس وتقود مسارها وتتلاعب بها بغية تضليلها.

تعتمد الإيحائية الغورجياسية في مسلكها على آليتين، الأولى الإيحائية المتولدة من اللوغوس الكلامي، والذي بواسطة مفاعيله القووية أو الإغوائية يؤدي إلى بث الإيحاءات في النفس والتأثير فيها وتضليلها.

---

1 - "Le LOGOS par le biais du leurre détourne mon âme et ma volonté"
UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. TI. p. 271

2 - " La passivité de l'âme est son ouverture au langage"
«إن سلبية النفس هي في انفتاحها على الكلام»
DHERBEY - GILBERT ROMEYER- *QUE SAIS-JE ? LES SOPHISTES*, p. 46

3 - "La persuasion implique la psychagogie"
LES SOPHISTES. T.I. p. 286

والثانية الإيحائية المتولدة من عالم الأحاسيس «يمكن لعالم الأحاسيس أن يمارس ذات الإيحائية المأسوية التي يمارسها اللوغوس»[1] وعالم الأحاسيس عند غورجياس يتكون من الأشياء المحسوسة أي الأشياء الخارجية التي يحس بها الإنسان إن اللوغوس الكلامي هو الذي ينقل ويعكس صورة وتأثيرات هذه الأشياء والانفعالات المتولدة عن النفس نتيجة مفاعيل تعبيره عن هذه الأشياء، والتي تتولد عنها الإيحاءات المضللة.

القاعدة الثانية - اللاعقلانية:

القاعدة الثانية التي تستخدمها البسيكاغوجيا، في سلوكها التضليلي الموجه إلى النفس، هي قاعدة اللاعقلانية، وتسمى «البسيكاغوجيا اللاعقلانية»[2] والتي تنتج مفاعيل شعورية، إحساسية، أهوائية، لا عقلانية. «واللامعقول L'IRRATIONNEL هو المناقض للعقل أو الغريب عنه، ويقابله المعقول...، اللامعقول، هو الذي يجاوز حدود العقل، والذي يقف عنده التفسير المنطقي للأشياء، وهو أيضا اللامفهوم الذي لا نستطيع إدراكه أو تفسيره بأسباب مقبولة في العقل...، واللامعقول هو اللامنطقي»[3].

البسيكاغوجيا الغورجياسية اللاعقلانية في أسلوبها، والتي لا تستعمل آليات المنطق العقلي لأنها لا تؤمن به، تستعمل منطقاً آخراً مغايراً للعقل هو

---

1 - "Le monde des sensations peut exercer la même suggestion tragique que le "LOGOS"

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. TI, p 179

2 - "La psychagogie irrationnelle"

المرجع ذاته، ص 178

3 - صليبا جيل، المعجم... المرجع المذكور، ص 285

«منطق العواطف». وفي صدد شرح مدلول هذا التعبير، يظهر لأول وهلة تعبيراً يتضمن التناقض «البينذاتي»*، فكيف يكون منطقا وفي الوقت نفسه يكون عاطفياً؟ إنّ مفاعيل المنطق هي مفاعيل عقلية تفكيرية، واما مفاعيل العاطفة فهي شعورية إحساسية، واحكام العقل تتناقض في كثير من الأحيان مع احكام العواطف.

قلنا منطقا، لأن السفسطائي غورجياس يستخدم التضليل النفسي من أجل السيطرة والتسلط والانتفاع والمصلحة. وعملية الاستهداف تنتهج آليات التفكير والتخطيط وتستخدم وسائل ومناهج وخططاً. وكل هذه الأمور تتصل عنده بالنتيجة المنفعية التي يبتغيها من غير ان يكون بينها وبين تلك النتائج روابط منطقية.

وقلنا عاطفيا، لأن هذا المنطق ينتهج خططا تستخدم آليات وطرقاً تتوجه إلى مكونات النفس، وأهمها المكونات العاطفية؛ بالإضافة إلى المكونات الأهوائية (الهوى) والغرائزية، والى الميول والشهوات والرغبات والأحاسيس. والحياة الانفعالية، واللذة، والهيجان. ومن أهم هذه الطرق الخطابة والشعر والموسيقى والفصاحة والبلاغة والتي يعبّر عنها ««اللوغوس» اللاعقلاني الذي يمارس السيطرة»[1] اللاعقلانية على النفس والذي له تمظهرات مخادعة وتضليلية.

---

* «ان مصطلح «البينذاتية» وضعناه مقابلة للمصطلح الفرنسي «Intersubjectivité" وهو يترجم ايضاً "بالضمن ذاتية"، أنظر في هذا المعنى، ايوب فرنسوا، ترجمة قاموس لاروس الفلسفي ... المرجع المذكور، ص 46.

1 - "LOGOS Irrationnel exerçant son empire"
UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, TI, p. 178

القاعدة الثالثة - استغلال «الشعور المزدوج والمتناقض في النفس» (AMBIVALENCE) وإستغلال الوقت السانح المزدوج والمتناقض

انطلاقا من مبدأ النسبية والتغيرية والتناقض، اعتمد غورجياس قاعدة الاميفالونس في عملية التضليل السيكولوجي، فهذه القاعدة تمس عنده النفس واللوغوس والوقت. النفس متقلبة ومتبدلة ومستسلمة ومتناقضة، العواطف ومزدوجة الشعور.

واللوغوس الكلامي «كأداة إقناع، فهو مزدوج ومتناقض»[1] لأنه يحتوي في جوهره على الخداع والإغواء وكذلك هو الحال للوقت السانح فهو مزدوج ومتناقض[2] يعتريه التبدل والتغير وهنا نستحضر الأمثال الشعبية القائلة «يوم لك يوم عليك» و«الدولاب قلاّب» إشارة إلى انقلاب الظروف الزمانية من ظروف مؤاتية إلى ظروف معاكسة. البسيكاغوجيا الغورجياسية في تضليلها المكونات النفسية للإنسان تتهز وتستغل عامل وجود الشعور المزدوج والمتناقض في النفس، وتتلاعب به. فما هو «الاميفالونس»؟ وما هي خصائصه؟ وكيف تتم آلية التضليل بواسطته ؟

لقد قارب القاموس الفلسفي لديديه جوليا «الامبيفالونس» على انه حالة «ازدواجية الشعور (تكافؤ القدر) يمكن ان تشعر في آن واحد وفي حالة معينة بشعورين متناقضين . هناك طابع ازدواجي متأصل في النفس الإنسانية التي تتوق إلى الطهارة، أو في الوقت نفسه يتعاطى الفرد الدعارة والتي تبغض في

---

1 - "Le "LOGOS"comme persuasion: son ambivalence..."

المرجع ذاته، ص 165

2 - "Ambivalence de (Καιρος) "KÉROS"..."

"الإزدواجية التناقضية للوقت المناسب"

المرجع ذاته

حين أنها تحب»[1].

أما موسوعة لالاند الفلسفية فقد اعتبرت انه «لبس، شبهة، قيمتان متعاكستان تقال على الأهواء التي تجعل صاحبها يعاني من شعورين متناقضين. «لا أستطيع أن أعرف إن كنت أحب أو أكره (راسين، اندروماك) أو قابلتان للتحول الفجائي، إلى نقيضها. كالرعب المصحوب بالجاذبية وأيضا الأحلام على قدر ما يمكن إظهار الخوف من شيء واحد والرغبة فيه»[2].

يتضح من تفكيك هذه المقاربات أن لفظ الامبيفالونس (Ambivalence) يمتلك الخصائص الآتية:

إنه حالة نفسية تمس المكونات النفسية للإنسان كالشعور والعواطف الأهواء (البغض، الكره، الحب، الرعب، الخوف، الرغبة، الإنجذاب)

إنه حالة نفسية تعكس ازدواجية الشعور النفسي والعاطفي ومن صفات هذه الازدواجية، التناقض، التضاد، التعارض، التقابل.

إن حالة الازدواجية في الشعور مع صفاتها هي متساوية ومتوازية الحدين في الإنسان ومتكافئة القدرة والفرص، فهنالك إمكانية أن تتغلب حالة على أخرى، في حالة التأثر البراني والجواني للنفس. وهذه الحالة تعكس العلاقة التفاعلية التبادلية بين الخارج والداخل التي تؤثر بالنفس.

إن آلية التضليل البسيكاغوجي عبر التلاعب الإزدواجي النفسي تتمظهر بالآتي :

---

1 - AMBIVALENCE: possibilité pour un sujet de ressentir en même temps et dans une situation donnée deux sentiments opposés

أيوب فرنسوا، ترجمة القاموس الفلسفي ... المرجع المذكور ، ص 17

2 - لالاند أندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور ، ص 483

إنّ اللوغوس الكلامي القووي، المخادع، المغوي، المغري، الجاذب، المتسلط الموارب، الخبيث، يؤثر في النفس، كاسرا المساواة ومحدثا الخلل، في التوازن والموازاة القائمة ضمن قاعدة الاميفالونس النفسي، هذا الخلل في التوازن والتساوي، يؤدي إلى تغليب دفة على دفة، وسيطرة حد على حد، وتقوية قدرة طرف على الطرف الآخر. وعملية التلاعب بالنفس وبشعورها يتكوّن بحسب أهداف اللوغوس الكلامي وغاياته. فإذا كان التلاعب التضليلي يهدف إلى إثارة النفس وإغضابها، يستعمل قوته التحريضية، فتتحول السكينة إلى غضب، وإذا كان التلاعب التضليلي يهدف إلى جذب النفس وإغوائها، يستعمل قوته الناعمة الخبيثة المغوية فيقلب الغضب إلى حب. إن اللوغوس الكلامي يتلاعب بقانون اجتماع الضدين في النفس، انطلاقا من قاعدة الاميفالونس، التي تستغلها البسيكاغوجيا كطريقة من طرائق التضليل.

5- التضليل بطريق التكيّف السياسي الكلامي

1- المكونات الفكرية لهذه الطريقة:

إن التضليل التكيفي عند بعض مفكري الحركة السفسطائية، ينطلق من تفكيرهم القائم على النزعات الفلسفية المقعّدة على قوانين التبدلّية والتغيرية والنسبية والذاتية والعدمية. فالعالم مخادع بطبيعته، والمعرفة الانطولوجية عديمة الفائدة، لأن موضوعاتها زائفة، العالم متغير والحقائق نسبية متحوّلة تفرضها الواقعية، والواقعية تفرضها الظروف والمناسبات، وهذه الحقيقة تكون مستحيلة إذا حاولت تجاوز الظروف والواقعية. غورجياس «اعتبر ان قضية الوجود زائفة والعالم خادع بطبيعته»[1]، فيصبح القول الذي يريد إثبات حقيقة العالم المتغير

---

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 731

والمتبدل هو قول مخادع مضلِّل.

لذلك، فإن المعرفة الانطولوجية عقيمة غير منتجة. وتصبح المعرفة الصحيحة لبعض مفكري الحركة السفسطائية معرفة التلاؤم والتناسب مع هذا العالم المتغير، ومعرفة الفرص السانحة والأوقات الخصبة، التي يجب استغلالها وانتهازها للمصلحة الخاصة وللانتفاع الشخصي. لهذا يدعو بروتاغوراس تلاميذه إلى وجوب ان يتعلموا «كيفية تكييف طموحاتهم مع الظروف الاجتماعية والسياسية»[1] ويدعو غورجياس إلى «تكوين القدرة على الكلام والقول والإقناع وانتهاز الفرص والتلاؤم مع متغيرات المجتمع والحياة»[2] وبما أن أقوالنا تختلف باختلاف الناس والمجتمع فستكون الحقيقة نسبية والقيم متعددة. لذلك «يجب تكييف القول حسب حاجيات السامع الظرفية والتأقلم مع رغباته أو ترويض أفكار الناس على خلق أفكار مناسبة حول كل الموضوعات وفي كل المناسبات»[3].

أما بروتاغوراس ، خدمة لتحقيق ممارساته التكيفية مع المجتمعات، يقوم بدراسة و«تحليل تركيبة قانون "Nomos" مجتمع من المجتمعات ، ويعلّمنا كيف نتلاءم معه وكيف ننال رضى أفراد هذه الجماعة»[4].

وتتمّ آليات التكيّف عند السفسطائيين عبر «اللوغوس الكلامي». هذا اللوغوس المضلِّل المخادع المغوي الفنان، القووي، المتناقض الذي يملك القوة والقدرة على التغير والتبدل الذي بواسطته تتشكل عملية التكيف؛ والتلون بألوان المناسبات الزمانية والمكانية، والذي ينتهز الأوقات ويستغل الفرص

---

1 ـ الموسوعة الفلسفية العربية .

2 ـ المرجع ذاته، ص 732

3 ـ المرجع ذاته، ص 729

4 ـ المرجع ذاته

السانحة، فتارة يتمظهر لابساً ثوب الإقناع القووي، وطورا يتلبس لبوس الإغواء والجاذبية والإغراء، وحينا يرتدي أقنعة القوة والتهويل والتخويف والتشكيك. وان فشل في ذلك، ينقلب إلى انتهاج طرق التكيّف الخبيثة التي تهدف إلى الممالقة والمداهنة والمسايرة والمجاراة.

2 ـ أهم تقنيات التضليل الكلامي والتكيّفي:

ومن أهم تقنيات التضليل التكيّفي عند السفسطائيين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر «الارستيك» و«الانتيولوجيا» عند بروتاغوراس. أما عند غورجياس فنجد بالإضافة إلى تمظهرات اللوغوس التضليلية التي أسلفنا الحديث عنها التقنيات الآتية:

أ ـ تقنية «الموارية»[1] الكلامية المتمظهرة بالموارية الاقناعية وبتكييف الكلام والإقناع بحسب الظروف المكانية، والزمانية ووفقا للمناسبات وتستخدم الموارية الاقناعية آلية «الملائمات الكلامية»[2] مع هذه الظروف التي تتغير وتتبدل معها.

---

1 - ان السفسطائي غورجياس يعتبر ان الظروف والأوقات هي موارية وكذلك هي الإقناعية (par le biais de la persuasion). لذلك فإن التكيفية التضليلية الخبيثة تفترض ملاءمة الكلام الموارب للظروف الموارية لإنتهاز الظروف السانحة والمناسبات الخصبة.

انظر في هذا المعنى:

UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. TI. P.270-283

2 - كلمة «ملائمة» تعني في اللغة اليونانية (Πρεπων) (بريبون) (PRÉPON) وهي مرادفة للكلمة الفرنسية (CONVENABLE)

المرجع ذاته، ص 284

ب ـ تقنية «الارتجالية»[1] الكلامية والتكيف مع المواقف وطبائع السامعين، ومجاراة أفكارهم واهوائهم وغرائزهم وميولهم وتمنياتهم السيكولوجية، وهذا يؤدي إلى انتهازية الظروف والأشخاص والمواقف والآراء.

ج ـ تقنية «الإنتهازية»[2] التي تنتهز الفرص السانحة والمناسبات الخصبة، وتستخدم طرق التضليل الكلامي كالإلهائية والمشاغلة والمداهنة والاغوائية والتحريضية والإثارة والتخويف أو الترغيب من أجل انتهاز الحالات النفسية والفكرية والعاطفية للشعب واغتنام الفرص للاستفادة منها بغية الانتفاع والنجاح والسيطرة والتسلط.

---

1 - "L'Art d'improviser des discours

أي "فن ارتجال الخطبات"، المرجع ذاته،

وفي هذا السياق، تقترن الارتجالية، غالبا بالخطابة المتمظهرة بالخطاب الملفوظ عبر الكلام.

2 - ان معنى الانتهازية في اليونانية تعني (Καιροç) "kéros" "كيروس" وهذا المعنى يفترض وجود:

أ- عنصر الأوقات والظروف والفرص الخصبة والمناسبة والملائمة

(Temps, circonstances, moment favorable, occasion, opportunité)

GHASSANG A.-*LE NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*, p. 474

ب-وعنصر انتهاز أو تحيين أو اغتنام الفرصة من هنا تأتي الكلمة اليونانية (Καιροσκοπια) (Kéroskopia) "كيروسكوبيا" أي الانتهاز أو التحيين أو اغتنام الفرصة والكلمة اليونانية (Καιροσκοποç) (KÉROSKOPOS) "كيروسكوبوس" تعني المتهز والمتحين أو مغتنم الفرصة.

انظر في هذه المعاني، الفقي محمد عبد الرحمن، القاموس اليوناني العربي ... المرجع المذكور، ص 203

رابعاً - التسترية التمويهية في التسميات

يظهر أن التضليل عند بعض أعلام الحركة السفسطائية، لم يقتصر على الخطاب السياسي الملفوظ فحسب، إنما طاول سلوكهم. ويقر بذلك بروتاغوراس قائلا «وإني أنادي بأن السفسطائية فن عريق ولكن المشتغلين به في الأزمنة القديمة، بسبب بغض الناس له يختفون تسترا تحت أسماء مختلفة، فيتخذ بعضهم اسم الشعراء مثل هوميروس ويتخذ البعض أسماء رجال الدين مثل اورفيوس ... وهذا هو مواطنكم اجاثوكليس زعم انه موسيقي، ولكنه كان في الحقيقة سفسطائيا ضليعا»[1] يتضح من هذا المقتبس.

إن بعض اعلام الحركة السفسطائية كانوا يمارسون أعمالهم الفكرية النظرية والعملية في جو من السرية والخفاء، أي انهم كانوا يخافون المجاهرة والعلنية إما لخوفهم من الناس كما قال بروتاغوراس وإما لأن عقائدهم كانت عقائد هدم وتخريب وتضليل وتقتضي لنجاحها السرية.

إن بعض السفسطائيين كانوا يعتمدون في تضليلهم الناس على التستر والتمويه وذلك باستخدامهم الأسماء الزائفة المستعارة، للتستر على أسمائهم الحقيقية لأن الاسم يرتبط بالشخصية، فان اكتشاف الأسماء الحقيقية يفضي إلى كشف الشخصية الحقيقية وفضحها.

والنوع الثاني من التضليل الذي مارسوه هو التضليل باتخاذ الغطاء الساتر، وهو كناية عن تظاهر بعضهم بأنه يشغل عملا معينا، أما في الواقع فهو يشغل عملا آخر، وهذا يعني أن ما هو ظاهر، هو وهمي، وغطاء ساتر للعمل الحقيقي. تماما كما هي حالة «اجاثوكليس» الذي كان في الواقع، يمارس «السفسطة». أما في الظاهر المعلن أمام الناس فهو «موسيقي».

---

1 - الموسوعة الفلسفية العربية ... المرجع المذكور، ص 723

خامساً- هدف التضليل عند السفسطائيين بين «السيطرة» و «التسلط»

1 - المترون انثروبس (Maîtron anthropos) أو الإنسان المسيطر

كما ان للتضليل السياسي عند زعماء الحركة السفسطائية له أصوله الفكرية، كذلك لأهداف التضليل جذور فلسفية فكرية. التضليل السياسي عند السفسطائيين يهدف إلى السيطرة والتسلط على الجماهير، ومن خلالها السيطرة على كل المجالات السياسية والمؤسسات السياسية في البولس اليونانية، بواسطة اللوغوس الكلامي ومفاعيله القووية كما بيّنا، وقد وضع «بروتاغوراس» زعيم الحركة السفسطائية ومعلمها الأسس الفلسفية للسيطرة والتسلط. عندما أطلق مقولته الشهيرة «المترون انثروبس» (Μετρον ανθρωπος)[1] (أي الإنسان المسيطر) الذي هو صاحب السلطان والسيادة، «سيد التجارب»[2] وسيد المعرفة يتحكم فيها حسب منفعته ومصلحته وحاجاته.

- في إشكالية شرح كلمة «مترون» (Maîtron)

هل ان كلمة «الميترون» التي نطق بها بروتاغوراس تعني السيطرة والتسلط، كما فسرها وشرحها انترستينر (INTERSTEINER) أحد أهم الباحثين في الفلسفة السفسطائية، عبر مؤلفه الشهير "السفسطائيون" "LES SOPHISTES" ؟ أم أنها تعني «الإنسان المقياس» نسبة للتعبير اللاتيني "HOMO MENSURA"؟[3]، نميل إلى القول إن «الميترون» تعني السيطرة

---

1 - UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*. T1. P.73

2 - "Maitre des expériences"

المرجع ذاته، ص 79

3 - CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE, DE LA PENSÉE POLITIQUE*, T1. p.30

والتسلط، انطلاقا من الإثباتات الموضوعية المنطلقة من القرائن الاثباتية الآتية:

2 ـ قرينة الأصول اللغوية الإبتيمولوجية

إن انترستينر يعتبر ان كلمة «ميترون» اليونانية متأتية من الفعل اليوناني "ميذو" "MÉDHO" (Μεδω) الذي يعني السيطرة والتسلط ويؤكد هذا القول على ما ورد في القاموس الفرنسي اليوناني الذي رادف الفعل اليوناني "ميذو" بالأفعال ذات اللسان الفرنسي "غوفرني" "Gouverner" و"رينييه سور" "Régner sur"[1] والتي تعني في اللغة العربية «حكم، ساس، أدار، دبّر[2] ومن الميترون يتأتى تعبير «ميتريزيه» "Maîtriser" اي السيطرة بالقوة والإخضاع[3] والذي يندرج من الأصل اليوناني «Maîtra"[4] (Μετρα).

3 ـ القرائن الفكرية

القرينة الفكرية الأولى - السيطرة تمظهر قووي

إن دراسة مفاهيم بروتاغوراس يجب ان تدرك وتفهم وتقارب ليس من خلال الأصول اللغوية والايتيمولوجية وحسب وانما انطلاقا من سياقاتها الفكرية المرافقة والمواكبة لها، ان كلمة «ميترون» تعني السيطرة والتسلط لأن غالبية زعماء الحركة السفسطانية قعّدوا وأسسوا تفكيرهم النظري والعملي في المجالات السياسية، على فلسفة القوة وتمظهراتها المادية أو الفكرية ؛ وقد

---

1 - GHASSANG A. *NOUVEAU DICTIONNAIRE GREC-FRANÇAIS*, p. 585

2 - عبد النور جبور، سهيل ادريس، المنهل ... المرجع المذكور، ص 491

3 - المرجع ذاته، ص 634

4 - UNTERSTEINER MARIO, *LES SOPHISTES*, T1, P.124

أشرنا سابقاً إلى هذه الأبعاد. أما التمظهرات القووية الكلامية ، فقد استفاض غورجياس في معالجتها عبر مفهومية «اللوغوس الكلامي» الذي يمارس قوته وعنفه وسحره.

- القرينة الفكرية الثانية - الأصول المعنوية لكلمة الميترون تعني السيطرة

لقد تكلمنا عن الأصول الابتيمولوجية للميترون. أما الأصول المعنوية لهذه الكلمة والمحمولة عبر مقولات الفلاسفة والتراجيديا والميثولوجيا التي تأثرت بالفكر السفسطائي ، فتشير كلها إلى أن كلمة ميترون تعني «السيطرة» وبخاصة عند أحد أهم من اثر في الفكر السفسطائي وهو هيراقليطس[1].

4 ـ القرينة السيكولوجية ونزوع السفسطائيين الى السيطرة

يعتبر جون جاك شوفاليه في مؤلفه «تاريخ الفكر السياسي»، أنّ السفسطائيين هم في أكثريتهم غرباء أجانب يقيمون في أثينا[2]. وهذا يعني ان هؤلاء ليسوا بمواطنين اثينيين لا يقدرون أن يمارسوا مواطنيتهم العضوية، والانخراط العضوي في المؤسسات السياسية الحاكمة. فليس بمقدورهم أن

---

1 - لقد ظهر معنى «ميترون» على انه السيطرة عند «سوفوكل» ، و«بندرا» و«كزينفون» و«هيراقليطس»

2 - "Les Sophistes. ...étrangers pour la plupart à Athènes. ils tenaient la Cité athénienne et ses institutions pour un fait acquis"

«لقد كان السفسطائيون ، وهم في أكثرهم غرباء في أثينا ، يعتبرون (البوليس) المدينة الأثينية ومؤسساتها كواقع مكتسب»

CHEVALIER JEAN-JACQUES. *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*. TI. P.30

يحكموا الشعب مباشرة. آثروا أن يحكموا الشعب بصورة غير مباشرة فسيطروا على الحكام، والسياسيين بتعليمهم فنون السيطرة الكلامية، ومن خلال هؤلاء أمكنهم السيطرة على الشعب.

«السفسطائيون فتحوا مدارس للخطابة والبلاغة دعوها مدرسة الفلسفة الحقيقية وصوروا للشباب الأثرياء الطامحين إلى السلطة والثروة واللذة أن علمهم هو الطريق الوحيد إلى المراتب والسيطرة، فاندفع الشباب وراءهم اندفاعاً مستقياً»[1].

إن عدم القدرة المباشرة، لبعض زعماء الحركة السفسطائية في وصولهم إلى مراتب السلطة، جعلتهم يحاولون السيطرة على الشعب من خلال طلابهم ومريديهم. فكان هاجسهم السيكولوجي يكمن في النزوع إلى السيطرة والتسلط. لذلك، أتت تعبيراتهم وتعاليمهم محتوية في معانيها ومناهجها، النظرية والعملية، على مدلولات القوة والسيطرة، وبينها كلمة «الميترون».

5 – في ان معنى المقياس ليس إلا مظهرا من مظاهر السيطرة والتسلط

لو سلمنا جدلا أن «الميترون» أخذ بمعناه الحرفي على أنه «المقياس»، أي أن قول بروتاغوراس جاء على أن الإنسان هو مقياس كل شيء»، وبهذا يعني، أن الإنسان في مفهوم السفسطائي بروتاغوراس يجب ان يقيس الأمور والقضايا والتجارب والأشياء والناس، انطلاقا من مقاييسه الخاصة، أي حسب قوانينه وقواعده ومعاييره الذاتية. وهذه المعايير الذاتية ليست علمية ولا موضوعية. إنما هي أنانية ونفعية ومصلحية. هذا يعني أنها ترفض تقبل المعايير والمقاييس الأخرى. فلا تعترف إلا بذاتها وتنفي معيارية ومقياسية غيرها، تؤكد ذاتها وتعدم غيرها. تفرض وجوديتها وتنفي وجودية الآخرين. هذا يؤدي بنا إلى القول ان هذه المقياسية السفسطائية البروتاغوراسية، هي مقياسية طغيانية متسلطة، تسعى

---

1 - غيث جيروم، أفلاطون ... المرجع المذكور، ص 20

إلى السيطرة. وبهذا الصدد يقول جون جاك شوفاليه: «إن الإنسان هو مقياس كل شيء»، هذا القول المنطلق من اللاتينية «أمو مون زورا» لهو قول تأكيدي، غالباً ما تم تأويله عن «الذاتية الكلية» التي يمكن بمقتضاها لكل فرد أن يصنع لنفسه قاعدته الخاصة، في الخير والشر، في السياسة كما في الأخلاق»[1].

اللوغوس الكلامي السفسطائي استمد في كثير من الأحيان مصدريته وقوّته من الميتولوجيا والأساطير، لقد آمن غورجياس بالميتولوجيا واعتبرها أكثر واقعية من الواقع المتلمس، بواسطة الروايات الميتولوجية، كان اللوغوس الكلامي السفسطائي يفرض سطوته وسيطرته على الشعب في البولِس اليونانية، تهويلاً او إجتذاباً، لقد تشابه الفكر العربي بالفكر اليوناني ، بهذه الناحية وخرّج معنى «السيطرة» من معنى «الأسطورة»[2].

---

1 - "L'homme mesure de toutes choses (dite, en latin, de l'homo mensura). Affirmation trop souvent interprétée comme celle d'un subjectivisme total, selon lequel chaque individu se ferait sa propre règle du bien et du mal, en politique comme en morale".

CHEVALIER JEAN-JACQUES, *HISTOIRE DE LA PENSÉE POLITIQUE*, T I, P.30

ملاحظة: لقد اعتبرنا معنى: «MESURE» على أنه "مقياس" على سبيل الجدل والاستطراد ليس إلا، وقد بررنا ابتمولوجياً كما سبق، على أن معنى MESURE يراد به السيادة والسيطرة.

2 - أ- الأسطورة مصطلح مأخوذ من اللسان اليوناني (Ισтоρια) (ISTORIYA)

انظر الأب نخله روفائيل اليسوعي، غرائب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط 5، 1986

ب - ويعني هذا المصطلح في اللسان الفرنسي والإنكليزي "History" "Histoire" أي ما معناه في اللسان العربي التاريخ، وهنالك ارتباط أصلاً بين الميتولوجيا والتاريخ. ويقول الدكتور وجيه كوثراني في هذا الصدد إن أسطورة حتى ولو اصطلح اعتمادها كترجمة عربية للتعبير اللاتيني «Mythe" فإن الأسطورة بهذا المعنى، وعند معظم الانتولوجيين، ليست خالية من وقائع التاريخ وأخباره فهي تروي تاريخاً بطريقة رمزية ومن خلال الذاكرة الجماعية.

راجع في هذا المعنى مقالة للدكتور كوثراني وجيه، «سطار وأسطارة وأسطورة وصلة التاريخ بالأسطورة...» ، جريدة الحياة الأحد 5 نيسان 2001/ ص 21

إننا نجد علاقة وصلية في المعنى والاشتقاق اللغوي بين "الأسطورة والسيطرة" فالأساطير هي الروايات غير الحقيقية وغير الواقعية التي لا وجود لها إلا في حيز الكلام والخطابات الملفوظة المكتوبة، يستخدمها الكلام لتضليل الناس وللسيطرة عليهم «الأساطير: الأباطيل»[1] ويقال «سيطر علينا، أتانا بالأساطير»[2] «ويقال سطّر علينا، سيطر، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل»[3].

تحصل السيطرة على الشعوب من خلال استخدام وسائل قووية عديدة مادية كانت أم معنوية ام سيكولوجية، ومن أهم أنواع السيطرة على الرأي في عصرنا الحالي نجد "السيطرة الكلامية" الأكثر فعالية وتأثيراً بواسطة وسائل الإعلام والدعاية ووسائل الإتصال المتطورة.

فبعد أن بحثنا "التضليل الكلامي" وآليات السيطرة على الرأي عند بعض إعلام الحركة السفسطائية، سننتقل إلى بحث بعض أهم تمظهرات التضليل الكلامي وآلياته في عصرنا الحاضر، مظهرين بعض جوانب التأثير السفسطائي فيها.

يُمارس التضليل الكلامي في سائر مجالات الحياة، إنما يستعر في القضايا السياسية، لأن السياسة الواقعية تقوم في أغلب الأحيان على التضليل بتمظهراته كافة. قليلة هي السياسات المثالية الأخلاقية وكثيرة هي الممارسات السياسية البرغماتية القائمة على الانتفاع والمصلحة والإنتهازية والتي تحقق ذاتها متوسلة التضليل.

فما هي طبيعة التضليل الكلامي؟ وما هي علاقته باللغة وبالدلالات الكلامية؟ وما هي مفاعيل الكلام؟ وما هي أهم طرق التضليل الكلامي المعاصرة التي يستخدمها التضليل السياسي(*)؟ وكيف تحصل التطبيقات العملية له في الصراع السياسي؟ هذا ما سنعالجه في مبحث التضليل الكلامي المعاصر وطرقه؟

---

1 - لسان العرب المرجع المذكور، ص 363

2 - المرجع ذاته

3 - المرجع ذاته

(*) "السياسة لعبة لكلامات"، مقالة بن راشد أحمد، قوة الوصف، مجلة عالم الفكر، المجلد 23، يوليو، 2003، ص 214.

الفصل الثالث

التضليل الكلامي المعاصر وطرقه

الفصل الثالث

التضليل الكلامي المعاصر وطرقه

أولاً ـ ترسانة التضليل الكلامي

يدل معنى الترسانة، على المجاميع الهائلة من الاسلحة، كمّاً ونوعاً. والأسلحة هي أدوات للحرب. وترسانة التضليل الكلامي، إنما نعني بها اسلحة الحرب التي تركن إلى التضليل الكلامي. يصنّف كلاوس الكذب على أنه سلاح كلامي تضليلي تكتيكي ويسمّه «تاكتيك الأكاذيب اليومية القصيرة الأجل حيث يدور الأمر حول الأكاذيب التي لها ظاهرياً جوهر حقيقي، ويتلقاها المخاطبون لاعتقادهم بانها تتضمّن بذرة من الحقيقة، أو لشعورهم بصحتها، فإن جوبهت بالحقائق وافتضح امرها كأكاذيب، نفيت بطريقة تلقي الذنب في الخبر الكاذب على مصدر المعلومات، شريطة أن يبقى برغم النفي أثر من الكذبة الأصلية في وعي من تلفوها...»[1]

وكما أن هنالك مناورات عسكرية فأيضاً هناك مناورات التضليل الكلامية، خاصة عندما يكون للكلمة الواحدة ذاتها معانٍ متعددة ومترادفات

---

1 ـ أنظر في هذا المعنى، كلاوس جورج، لغة السياسة، ترجمة ميشال كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط2، ص 145.

دلالية وافرة، فيحصل التلاعب بالمدلولات والمعاني والأفكار، كالتلاعب بمعنى «الحرية» و«الديمقراطية»، و«العدالة»، يقدمها المضلِّل للناس على إنها قِيَم أخلاقية في ظاهرها، أما في حقيقتها الواقعية، فليست هي سوى قِيَم وهمية مضلِّلة.

ويَستعمل التضليل الكلامي أيضاً أسلحة هجومية، كالتحريض، الذي يستهدف البنيات الفكرية والسيكولوجية والمسلكية للجماهير، فيفبرك من أجل ذلك منظومة ضخمة من الكلام، يضخها في أوساط الجماهير بوسائل الإعلام والدعاية كافة. فتتغلغل في أعماق وعيهم، وتترسّخ فيه، وبذلك تتحقق عملية الإغتصاب الفكري والمعنوي والسيكولوجي. وفي المحصّلة يؤثر التضليل الكلامي في الناس المضلَّلين، فيسلكون سلوكاً متناقضاً مع قناعاتهم ومصالحهم الحقيقية، ويتصرفون ضد مصالحهم الفعلية.

لا يمكن التعميم واعتبار اللغة وإشاراتها الكلامية أداة للتضليل السياسي وإلاّ وقعنا في خطأ منهجي ، لأن الكلام بحدّ ذاته يُعتبَر إشارة لغوية للتواصل والعلم والتطوّر والحداثة. فالكلام كالمنهجية والعلم، يمكن استخدامه استخداماً صحيحاً، ويمكن ان يساء هذا الاستخدام، وبما إننا بصدد معالجة قضية التضليل الكلامي، كان لا بدّ من ان نمحور اتّجاهاتنا الفكرية، نحو طريقة الاستعمالات اللغوية وبخاصة الكلامية ، ومناحي استخداماتها وتوظيفاتها في التضليل الكلامي. إنّ هذه الاستعمالات كوّنت «ترسانة التضليل اللغوي والكلامي»[1] التي لا يمكننا الإحاطة المطلقة بشموليتها، وضخامتها، لذلك نكتفي بعرض لبعض طرق التضليل الكلامي الأكثر استعمالاً في الخطاب السياسي.

---

1 ـ كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور ، ص 129

ثانياً ـ مفاعيل الكلام

إنّ الكلام هو أكثر أدوات التواصل والتعامل استعمالاً بين الناس. به نعبّر عن تفكيراتنا، لأن التفكير لا يمكن ان يتمظهر مادياً إلا بواسطة الإشارات الكلامية، والكلمة هي وسيلة اللغة السياسية، «والتي في المحصلة النهائية لها هدف واحد هو التأثير في سلوك البشر»[1]. فبواسطتها نوجّه سلوك الغير ويوجّه الغير بها سلوكنا.

نجد فلسفة اللوغوس الكلامي، وتأثيراته عند الحركة السفسطائية التي لا تزال مفاعيلها مستمرّة الى اليوم. اللوغوس الكلامي هو لوغوس قووي، يمارس قوّته «السحرية» و«الإغوائية الإغرائية الاجتذابية» «العنفية والمتسلّطة» ويستخدم قوّة «التحريك»* والتأثير «والتهويل والتخويف» والإقناع والتضليل، وممارسته القووية تتوجّه نحو «الذوكسا» (الرأي) المشتّت، الضعيف غير الواثق والمنقسم على نفسه، المتناقض. هكذا يفرض اللوغوس القووي إرغاماً نفسياً، وعقلياً على الذوكسا (الرأي)، ويُخضعه، يتسلّط عليه، ويضلّله، فتكون المحصلة النهائية أنّ اللوغوس الكلامي هو الذي يقود الذوكسا، وبالتالي يقود الاخلاق، والتصرفات، والسيكولوجيات، والعقول والعقائد والإيديولوجيات. يمارس اللوغوس الكلامي سلطته بواسطة اللغة التي وصفها غورجياس بأنها متسلّطة كبيرة، بقوله «إن الكلام هو متسلّط كبير، إنّه بواسطة جسم صغير وغير محسوس، ينجز الأعمال الأكثر قدسية، بحيث أنّ له القدرة على تسكين الخوف ونزع الألم

---

1 ـ كلاوس جورج، لغة السياسة... المصدر ذاته، ص 69.

* «عموماً، يتمّ الإعلان عن التغيّرات السياسية الكبرى بتعبيرات لفظية. قد تبدأ ثورة بصياغة لفظية محرّضة... قد يعقب هذا، دعوة للتحريك، للثورة، للإنفصال، للقتال». مقالة بن سعيد بن راشد أحمد، قوّة الوصف... مجلة علم الفكر، ... المرجع المذكور، ص 220.

وتوليد الفرح، وتعظيم الشفقة...»[1].

يتلاعب اللوغوس الكلامي «بالأمبيفالونس النفسي» أي إزدواجية الشعور المتناقض الكامن في النفس، يثوّره، يلجمه، يهيّجه، يغضبه، يفرحه، يحزنه، يحرّضه ويشوّقه، بالطبع إنّ المفاعيل القووية للوغوس الكلامي، لا يمكن ان تؤثّر في كلّ الناس، بل بقسم كبير منهم ، وهذا التأثير قد يقود إلى تضليلهم، فما ابرز طرق التضليل الممارسة بواسطة الكلام ؟

ثالثاً - منتخبات من الطرق المعاصرة للتضليل الكلامي

1 - التضليل الإيحائي بواسطة الكلام*

أ ـ آلية التضليل بالإيحاء الكلامي

لقد استخدم السفسطائي غورجياس «الكلام الإيحائي» طريقة تضليلية للسيطرة على النفوس والتلاعب بها. واعتبر ان المصدر الاول للإيحاء هو اللوغوس الكلامي : «الكلمات توقظ فينا الإنطباعات ، لدرجة أنّ إدراكنا يُثقَل أكثر بالمعارف والمشاعر والذكريات ، فتحضّر مساحةً أكثر تهيئةً للإيحاء»[2].

Le langage est un grand potentat. qui avec un corps minuscule et" - 1 imperceptible. accomplit les oeuvres les plus divines. car il a le pouvoir de calmer la peur. D›ôter le chagrin. de produire la joie. d›accroitre la pitié".
DHERBEY-GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*. P. 41

* يمكن التعبير عن هذا العنوان بعنوان آخر هو «التلميح أبلغ من التصريح». أنظر ، مقالة بن سعيد بن راشد أحمد ، قوّة الوصف ... المرجع المذكور ، ص 216.

Les mots éveillent en nous d›autant plus d›impressions que notre" - 2 conscience est plus chargée de connaissances. de sentiments. de souvenirs. qu'elle offre un terrain mieux préparé à la suggestion"
UNTERSTEINER MARIO. *LES SOPHISTES*. p. 282

يولّد اللوغوس الكلامي عند غورجياس الإيحاءات، بواسطة المفاعيل القووية للمعاني، كالتهويل والتخويف، والمفاعيل الإغوائية كالإغراء والإجتذاب. والطريقة الغورجياسية تتكرّر يومياً عبر الخطابات السياسية، التي تهدف إلى التضليل باستخدام الكلمات التي تولّد المعاني، المحدِثة للإيحاءات التي تستحضر في مخيّلة المضلّلين التمثّلات[1] والصور. يثير غوستاف لوبون في كتابه «سيكولوجية الجماهير»، مدى تأثير الإيحاء الكلامي ومدى فعاليته في التأثير على مخيّلة الجماهير، بهدف تضليلها والسيطرة عليها، لأن «هناك دوماً جانباً معيّناً في المخاتلة في الإيحاء»[2] فهو يتحدّث عن «مدى القوّة والتأثير الخاص للكلمات والشعارات والعبارات المختارة بطريقة تثير صوراً إيحائية وحيّة جداً.»[3] يقول: «إذا لم نكن نمتلك الصور فإنه من الممكن أن نثيرها في مخيّلة الجماهير عن طريق الإستخدام الذكي والصائب للكلمات والعبارات المناسبة. فإذا ما استخدمناها بشكل فنّي لبق فإنها تستطيع عندئذ أن تملك القوّة السرّية... فهي تثير في روح الجماهير العديدة أقوى أنواع الإعصار ولكنها تعرف ايضا كيف تهدّئها، ويمكننا ان نبني هرماً... بواسطة عظام الضحايا فقط، أقصد ضحايا الجماهير التي هيّجتها الكلمات والعبارات»[4].

تدخل الصور والتمثّلات في الخفاء على مخيّلة الجماهير، لأن «الإيحاء هو

---

1 - تمثّل الشيء تصوّر مثاله، ومنه التمثّل وهو حصول صورة الشيء في الذهن... تقول تمثّل الشيء... أي تخيّله تخيّلاً حسّياً.

صليبا جيل، المعجم ... المرجع المذكور، ج1، ص 442.

2 - الإيحاءات تستحضر في الأذهان بواسطة الكلام والمعاني، التخيّلات الحسّية للقضايا التي يتناولها الكلام. لالاند اندره، موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 1377

3 - لوبون غوستاف، سيكولوجية الجماهير ... المصدر المذكور، ص 188

4 - المصدر ذاته، ص 116

إشارة خفية»[1] غير ظاهرة، ولأنه يستخدم «السرعة والمباغتة»[2]. وهذه العوامل تؤدّي إلى التأثير في المضلَّل فيفعل الفعل أو يقبل المعتقد تحت تأثير فكره دون ان يعي هذا التأثير، الإيحاء يوجِّه الموحى له ويتلاعب به. بواسطة الكلام الآتي من الخارج، يتغلغل الإيحاء إلى داخل الذات يقودها، وتحت تأثير الأفكار والصور والتمثلات التي يولّدها يصبح «الشخص بلا مقاومة»[3] ويتأثر تاثيراً يجعله في حالة «الثقة العمياء ازاء الإيحاءات»[4]، هذه الأخيرة ترغم المضلَّل على قبولها حتى «وفي ظروف مضادة لمصلحته»[5] «تنمو الصور والتمثلات والأفكار نمواً كاملاً حتى تتحوّل إلى فعل»[6] ويتم «التأثير على المشاعر والمسلكيات»[7]. لكن التضليل بواسطة الإيحاء الكلامي لا يطال كل الناس وكل الجماهير، انها يطال الجماهير التي تمتلك قابلية الإيحاء. يقول لالاند: «في الواقع هنالك حالات مقاومة نسبية للإيحاء»[8] ومن أهم نماذج التضليل بواسطة الإيحاء الكلامي. الإيحائية التضليلية بواسطة الكلام القووي والإيحائية التضليلية بواسطة الكلام الإغوائي.

- **إيحائية الكلام القووي المضلِّلة**

إنّ الكلام القووي وإيحائية معانيه ومفاعيلها التضليلية، المستخدمة في الخطاب السياسي، كانت مدار تنظير وتطبيق في «البولِس» اليونانية، على يد الحركة

---

1 ـ صليبا جيل، المعجم ... المرجع المذكور، ج1، ص 181

2 ـ المرجع ذاته

3 ـ موسوعة لالاند الفلسفية ... المرجع المذكور، ص 1377

4 ـ أيوب فرنسوا، ترجمة القاموس الفلسفي ... المرجع المذكور، ص 420

5 ـ موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1377

6 ـ المرجع ذاته، ص 1374

7 ـ المرجع ذاته

8 ـ المرجع ذاته، ص 1377

السفسطائية، لقد اعتبر غورجياس[1] أنّ «اللوغوس الكلامي» هو بحدّ ذاته قوّة «ديناميس»، وله تمظهرات قووية، فتارةً يستخدم عبارات العنف والشدّة وطوراً عبارات الإغواء والتشويق. وقد حذا حذو ايزوقراطوس «الخطيب ديموستين»[2] الذي اعتمد فيما بعد، «طريقة ايزوقراط الخطابية، فكان يشحن جمله بالعصبية ويضخّم فحواها، بعد ان يرصّعها بالعبارات المناسبة، ثم ينفثها ليجعل وقعها على الأسماع موتّراً وقوياً»[3]. لقد استعمل ديموستين الكلام القووي «للسيطرة على الديموس الشعب»[4] بآليات استخدام «المفاجأة والعنف الكلامي»[5].

واللوغوس الكلامي القووي كان وما يزال أداة فعّالة في الحرب النفسية الدائرة رحاها بين الدول، التي تستخدم في خطابها السياسي «التهويل الكلامي» الذي هو خطاب كلامي يستعمل كلاماً قووياً. إنّه يولّد معاني موحيةً لصور العنف وتمثّلاته، لذلك دعي التهويل الكلامي، بأنه «عنف من دون عمل عنيف»[6] وإحلال الكلام القووي التهويلي، «كصيغة جديدة للتعامل مع الحرب السياسية، التي طرحت نفسها كبديل للحرب الحقيقية»[7] من منطلق «الفكرة القوّة» «IDÉE FORCE»[8]. فالدعاية الفاشية كانت تستخدم العنف الكلامي في

---

1 - لقد تكلّم غورجياس أيضاً عن العنف المارس بواسطة «الصورة» • فبواسطة المشاهدة وعبر الرؤية والنظر تتأثر النفوس، بالصورة المشهدية يمكن ان تثير الرعب والخوف في النفوس ويمكن ان تثير الحماس او الإغواء. وقد تؤدي الى التضليل. وقد سبق الإشارة الى هذا الموضوع.

راجع بهذا المعنى أيضاً DHERBEY-GILBERT ROMEYER - *QUE SAIS-JE? LES SOPHISTES*. P.45. 46.

2 - خطيب لامع كان عدو ايزوقراطس، ولكنه استخدم منهجه في البلاغة والخطابة (322 - 374)

3 - سعد بسام، في الدعاية السياسية تاريخ ومضمون، شركة فوراكس، بيروت، ط1، 1988، ص 53

4 - المرجع ذاته

5 - المرجع ذاته

6 - المرجع ذاته، ص 316

7 - المرجع ذاته

8 - المرجع ذاته

التسمية وفي الخطاب السياسي، يقول موسوليني: واصفاً أسطوله الجوي: «ان هدير طائراتنا سوف يخرس جميع الاشاعات، وستغطي أجنحتها سماء ايطاليا»[1].
أمّا النازية فكانت تردّد المقولة التالية «هتلر هو القوّة الحقيقية الوحيدة، وبما ان الجميع مع هتلر، فإنّه يتوجّب عليّ أن اكون معه أيضاً اذا كنت ابغي السلامة»[2]، وتستخدم الإستراتيجيا الاميركية «الكلام القووي» والتهديد بالقوة كسلاح مواز للقوّة المادية. ان الفكر العسكري الاميركي قدّم بواسطة هيئة اركان حرب القوات المسلحة، بعضاً من تعريفات للاستراتيجيا معتبراً إيّاها «فن وعلم استخدام القوات المسلّحة للدولة من أجل تحقيق الأهداف السياسية القومية عن طريق القوّة او التهديد باستخدامها»[3]، والتهديد القووي يكون غالباً كلامياً «وهو يدخل في فئة حديث القوّة POWER TALK التي تشمل التهديد والوعيد لا سيّما في السياسة الدولية».[4]

يستخدم الكلام القووي التعابير والمصطلحات[5] التي تولّد معاني «القوّة» و«العنف» و«الإرهاب» «التهديد» و«التهويل» و«التثوير» و«التهييج» و«التشويق». وهذه المعاني بدورها تخلق الإيحاءات التي تستحضر التمثّلات والصور المؤذية أو المشوّقة، أو المحرّضة، لأنّ الكلام القووي يخلق التخويف حيناً او الإثارة حيناً آخر، هذا الكلام يؤدّي إلى الإنفعال، إنفعال الخوف والرعب، أو

---

1 ـ سعد بسام ، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 209

2 ـ المرجع ذاته، ص 208

3 ـ الموسوعة العسكرية ... المرجع المذكور ، ج1 ، ص 66

4 ـ مقالة بن سعيد بن راشد أحمد ، قوّة الوصف ... المرجع المذكور ، ص 223

5 ـ يقول جورج كلاوس في كتابه «لغة السياسة» : «توجد مصفوفة كاملة من الكلمات المشتقّة من العواطف المتأجّجة وانفعالاتها ، من التعصّب والجموح والغضب والقلق والتحريض والتهيج.
أنظر في هذا المعنى ، كلاوس جورج ، لغة السياسة ... المصدر المذكور ، ص 200

إلى انفعال الثورة والهيجان. تؤدّي حالات الانفعال بالمضلَّل إلى توهّم أمور كثيرة لا أساس لها من الصحّة، فهو مستعدّ لأن يفسّر الأحداث العادية تفسيرات خاطئة بناء على إملاءات الإيحاء والوهم، وهو مستعدّ أيضاً لأن يصدّق كلّ ما يقال له بكل ما يطال موضوع خوفه وقلقه، وإثارته. إنه مستعدّ للانسياق والانجرار للإيحاءات الكلامية المضلِّلة.

إنّ الكلام القووي التهويلي، الذي يُدخل الخوف والقلق إلى قلوب، ومخيّلات المضلَّلين، يحوّلهم إلى أدوات ووسائل لمخطّطات سياسية. يقول كلاوس بهذا الصدد:

> «يستخدم التضليل عن عمد، السيكولوجية* الفردية والاجتماعية المتمحورة حول هذه الكلمات، لأن الخائفين يفتشون دوماً عن منقذ أو عن رجل قوي، أو حزب قوي يأخذ عنهم عبء المسؤوليات الملقاة عليهم، ولا ينصبّ الخوف والجزع في... التضليل... على أحداث مشخَّصة دائماً، بل هما ينشران في حالات كثيرة لذاتها فيبقى مفعول التحريض ضاغطاً باستمرار على المتلقّين. «الخوف من الأزمة»، «الخوف من الجريمة»، «الخوف على الوجود الخاص» ، المخاوف تخدم بأنماطها المتنوّعة،

---

* يستخدم التضليل الإيحائي القووي «حديث التأثير INFLUENCE TALK" للتلاعب بالسيكولوجيا الفردية والجماعية عبر استخدامه عبارات ومصطلحات صغيرة ، لكنّها تمثّل قضايا كبيرة ذات أبعاد سياسية مثل «الإجهاض» ، «الفقر» ، «تحديد النسل».
أنظر في هذا المعنى ، مقالة بن سعيد راشد أحمد ، قوّة الوصف ... ص 223.

> الأهداف المقرّرة للسياسة ولتحريضها، الخوف من الأزمة يعني الموافقة على الخطط الاقتصادية،... والخوف من الجريمة يعني الموافقة على السلطات الخاصة،... والخوف على الوجود الشخصي يعني العودة إلى أشكال بدائية من الولاءات الغيبية، وفقدان القدرة على التفكير النقدي»[1]...»

وليست فقط إيحائية الكلام القووي تؤدّي إلى التضليل، إنها أيضا إيحائية الكلام الإغوائي.

ج - إيحائية الكلام الإغوائي المضلِّلة.

إنّ الكلام المغري العذب، الجميل، الواعد، يسحر المضلَّلين ويجتذب شعورهم، ويولِّد عندهم الإيحائية الإغوائية، هذا النوع من التضليل بالإغوائية الكلامية تناولته الحركة السفسطائية، فغورجياس بعد معلّمه بروتاغوراس، يعتبر أنّ اللوغوس الكلامي يمتلك طبيعة تضليلية من خلال قوله الذي كرّرناه والذي نعاود إيراده في هذا السياق، بأن اللوغوس يتكوّن من سلطة إقناع وخداع إغوائي للعقل، وقد عبّر عن معنى الخداع والإغواء بمصطلح «الاباتي» اليوناني والذي نقله مترجم كتاب «السفسطائيون» إلى اللسان الفرنسي عبر مصطلح "Leurre" المركّب من معنيين مرتبطين ومتفاعلين، معنى الخداع المقترن بالإغواء، وتُطلَق عبارات الإغواء على النساء، لأنهن يستخدمن جاذبيتهن الجسدية كاستراتيجيا

1 ـ كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور، ص 200

جنسية للإغواء والإغراء، وكفخ بهدف الإيقاع بالرجل واستعماله لأغراضهن وأهدافهن أكانت شريفة أم سيّئة.

ويتقاطع مفهوم "الاباتي" مع ما أورده لسان العرب الذي جاء فيه ان "المغواة" المشتقة من الاغواء هي "حفرة عميقة تُحفَر للذئب يوضع فيها جدي لكي يسقط الذئب اليه فيصاد"[1]. إنّ المقاربات المعنوية لهذه المفاهيم، تقودنا إلى القول ان الكلام الإغوائي، مولّد الإيحاءات التشويقية والترغيبية، يهدف إلى اجتذاب المضلَّلين، ويوهمهم بالاستحصال على منافع ومكاسب، تحقّق رغباتهم، ويثير فيهم النزوع التلقائي للاستجابة إلى مفاعيل الكلمات التي يطلقها الخطاب السياسي الداعي إلى الوعود والآمال. وأكثر من ذلك، فإن الكلام الإغوائي الاجتذابي يستجيب له الشعور إستجابة عاطفية، بغضّ النظر عن الوعود والآمال المقترنة به إنطلاقاً من «لذة السماع» ولذة الاستمتاع بالكلام الجميل العذب «إنّ عملية اللذة أكثر اغراءً من اللذة ذاتها»[2].

ولا تسلك إيحائية الكلام الإغوائي في استخدامها التضليل، الطرق

---

1 - لسان العرب ... المرجع المذكور، ج15، ص 142

هذه المعاني تتطابق مع ما أورده قاموس كازميرسكي

تغوية:

.Égarer, séduire, induire en erreur, faire tomber dans les erreurs

اغوية:

Ce qui trompe, ce qui égare et fait périr de là, fosse creusée pour prendre .les bêtes féroces

KAZIMIRSKI, *DICTIONNAIRE ARABE FRANÇAIS*, Librairie Du Liban, Beyrouth, 1960. p.p. 519,520

غاوي :

Séducteur, trompeur

2 - مقالة كتبها عثمان عفيف، ملحق النهار، السبت 16 تشرين الاول 1999 ص 4 تحت عنوان «سلطة الغاوية»

المنطقية او المنهجيات العلمية، انها تستعمل منطق العواطف والمشاعر، والكلام الحافل بالوعود والمغريات. وقد ضلّل النازيون، أبناء الريف الألماني وأثّروا فيهم، ودفعوهم إلى القتال، عندما حرّضوهم على ذلك، باطلاق شعارات كلامية، موحية بالإغواء والإغراء مقرونة بكلام الحميّة والحماسة، إستغلّوا فقرهم وعوزهم، أغروهم بامتلاك المزارع المجهّزة بالفلاّحين واقتناء العبيد والخادمات؛ واقترن «الإيحاء الإغوائي» بالهدف الحقيقي للنازيين المتمثل بحثّ هؤلاء على القتال، لتجنيد اكبر عدد ممكن من المقاتلين، ولتحقيق الانتصارات العسكرية. وبهذا الصدد يعطينا كلاوس مثالاً حياً عن الإيحائية الكلامية الاغوائية الهادفة إلى التضليل، يقول: «لقد أثّر النازيون في الفلاّحين تأثيراً عظيماً، حين طرحوا شعار الإستيلاء على الشرق بالسيف والمحراث الذي بدا وكأنه سيعالج مشكلة الجوع للأرض في الريف الألماني،... فقد تراءى لقسم من سكان الريف الفقراء جداً، أنّ امتلاك مزرعة في اوكرانيا، أو سواها، بما فيها من فلاّحين، وخادمات، وعبيد من الشعب المحلّي، هو حلم مغر»[1].

2 – التضليل بالتسميم[2] الكلامي intoxication وآليات المواجهة

أ ـ الأصول الفكرية للتضليل بالتسميم الكلامي

الكلمة تسمّم وتقتل وفعاليتها أقوى من فاعلية الأسلحة وأوّل من استخدم الكلام كسلاح فتاك هم السفسطائيون. هذا السلاح الفكري إنطلق من قواعد ومبادىء نظّر لها وطبّقها هؤلاء في «البولِس» اليونانية. إنطلق غورجياس

---

1 - كلاوس جورج، لغة السياسة ... المصدر المذكور ، ص 143

2 - التسميم، قتل لحياة الانسان او التسبّب بمرضها باستخدام السم، وتفعل السموم، إما بتاثيرها الموضوعي او بتأثيرها في الأعضاء، بعد دخولها الدورة الدموية، أو بالطريقتين معاً، أي بتاثيرها موضوعياً في القناة الهضمية، عندما تؤخذ عن طريق الفم، وفعلها على أثر ذلك بعد الامتصاص.

في تقعيد نظرية التضليل بالتسميم الكلامي من مبدأ الازدواجية والتناقض والاضداد والتي تأثرت بها الحركة السفسطائية من خلال هيراقليطس. وهذه تشكل أحد أهم المرتكزات التي انطلقت منها الفلسفة السفسطائية.

الفارماخون (Φαρμαχon) (pharmakhon) لدى السفسطائي غورجياس يعني السم الذي يداوي[1]، ويقتل في الوقت نفسه حسب استخدامه واستعماله. وقد ماثل الكلام بالسم. فالكلام يسمّم ويقتل وهو كذلك يداوي. يقول: «كما انه وبالفعل، ان بعض المخدرات تُخرِج من الجسم بعض الأمزجة، وبعض المخدرات الأخرى تُخرِج أمزجة اخرى، وإنّ بعضها تزيل المرض، وبعضها الأخر تلغي الحياة، هكذا هو الحال بالنسبة للخطابات ايضاً، فمنها ما يُحزِن ومنها ما يُفرح وبعضها يُرعب، وبعضها يجلب الثقة إلى السامعين وبعضها الأخر يُسمّم ويسحر النفوس بواسطة الإقناعية السيّئة»[2].

ب- التمظهرات العملية للتسميم الكلامي عبر الحرب النفسية

إنّ التضليل بالتسميم الكلامي الذي مارسته الحركة السفسطائية في

---

1 - ان المداواة بالكلام طريقة يستخدمها علم النفس لمعالجة المصابين بالأمراض النفسية.

2 - "Comme en effet certaines drogues expulsent du corps certaines humeurs, d'autres drogues d›autres humeurs, et que les unes suppriment la maladie, les autres la vie, ainsi en est-il des discours aussi: les uns affligent, les autres réjouissent, d'autres effraient et d'autres ramènent à la confiance les auditeurs, d'autres enfin empoisonnent et ensorcellent l›âme par une persuasion mauvaise»

GILBERT ROMEYR- DHERBEY- *QUE SAIS-JE ? – LES SOPHISTES*, P. 48

البولس اليونانية لا يزال مستمرّاً الى اليوم عبر «الحروب الدعائية» بين الدول وبين الخصوم السياسيين. وهو نوع من التضليل الكلامي، يهدف إلى تدمير الخصم معنوياً ونفسياً وفكرياً وإدارياً، يستخدم في جميع الأمكنة والأزمنة بواسطة الدعاية الإعلامية. ومن الذين استخدموا التسميم الكلامي الفاتح المغولي (جنكيز خان) الذي لجأ إلى تسميم نفوس وعقول خصومه من أهل البلاد التي كان ينوي فتحها «حيث كان يشيّع عن مقاتليه... أنهم أعداد كالجراد لا تُحصى، وانهم يأكلون كل شيء يجدونه في طريقهم... حتى الذئاب والدببة والكلاب»[1]. «ولقد استخدم هتلر أسلحة فكرية استهدفت تدمير العدو من الداخل والانتصار عليه»[2]. ومن ضمن هذه الأسلحة سلاح التضليل بالتسميم الكلامي. ومن اهم مفاعيل التسميم الكلامي، إثارة الرعب والخوف والتدمير النفسي والمعنوي* وإثارة البلبلة الفكرية والقلق النفسي وهو من أخطر الأعراض، وأهم تمظهراته قلق الانتظار. يقول ليدل هارت: «لا شيء يرهق الانسان كالانتظار، يقلق وإذا ما قرّر الرجال شيئاً فضّلوا تحمّل الألم على انتظار وقوعه»[3]. والقلق هو حالة نفسية، تحدث عندما يشعر الفرد بوجود خطر يهدّده، وهو ينطوي على توتر انفعالي يصحبه اضطرابات

1 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المصدر المذكور، ص 440

2 - هارت ليدل، الاستراتيجية وتاريخها وفي العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص 12

* «قام الألمان بالتمهيد لغاراتهم الجوية بإشاعة روح الهزيمة والرعب عن طريق نشر القصص في نفوس ضحاياهم، واستمرّت الشائعة تلو الشائعة تروّجها محطّات الإذاعة في بولندا وفرنسا والأراضي الواطئة، وقد كانت هذه الحكايات تقصّ قصص الغزو المنتظر كما كانت تحكي عن محادثات السلام الوشيكة الوقوع. كان هدفهم هو إشاعة الارتباك والحيرة، واضعاف الروح المعنوية، كما كانت هذه القصص تنشر الشك في اخلاص الحلفاء وقدرتهم على تقديم يد العون للبلاد التي تحتاج اليه».

أنظر، نصر صلاح، الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الوطن العربي ط2، 1988، ص 249

3 ـ الاستراتيجية ... المصدر المذكور، ص51

نفسية وفيزيولوجية مختلفة. ومن أعراضه النفسية، الضغط لشدّة العجز، العزلة، الشعور بالعداوة او الخوف وعدم الثقة بالنفس، وصعوبة تركيز الانتباه، وتتدرج عوارضه الفيزيولوجية من ضيق التنفّس حتى الإغماء.

لم يقتصر "التضليل الدعائي" المتلري على تسميم(*) أفكار الأعداء ونفوسهم فحسب ، إنما على تسميم جماهيره تسميماً تخديرياً ، بغية تهييجهم وتضليلهم والسيطرة عليهم وتوجيههم واستعمالهم كأدوات تنفيذية لسياسته، ومن وسائل "التسميم التخديري" هذا ، "التسميم الكلامي" الأيل الى حث الجماهير على الإنشاد الصوتي الكلامي المترافق مع الموسيقى الحماسية ، وتكون هذه الأناشيد محضرة مسبقاً ، متلاعباً بدلالاتها الكلامية وبمعانيها ، تماماً كالأدوية المستحضرة ، بحيث انه يُحضَّر لكل حالة دواءها الخاص . إن امتزاج "الكلام" بالصوت " والموسيقى" له مفاعيل تسميمية تخديرية، تحيل الفرد الى ممارسة حركات يذوب معها خاضعاً للجموع المشاركة ، تصبح هذه الجموع "

(*) التسميم الدعائي والإعلامي هو سلاح سيكولوجي ، يطال المكونات السيكولوجية للناس ، يُخدّرها ويُسمّمها ، ويصل الى حدّ تدميرها وقتلها معنوياً ، وهو تقنية من تقنيات التضليل الدعائي والإعلامي "التسميم هو تقنية والتضليل الإعلامي هو مذهب".

• "L'intoxication est une technique, La désinformation est une doctrine

• "التضليل الدعائي هو سلاح حرب" وهو عنوان كتاب فلاديمير فولكوف.

• Volkoff Vladimir, *les désinformations arme de guerre*, julliard/l'age d'home.

• أنظر في هذه المعاني "الغلاف" والصفحة 17.

• يوصي بإستعمال الحرب النفسية الفيلسوف الإستراتيجي الصيني "سون زي" "sun tsu" (500 ق.م.) ، ومن أهم وصاياه في الحرب السيكولوجية "تسميم الأعداء" بواسطة المعلومات المغشوشة الزائفة الملفقة .

• أنظر في هذا المعنى : سون زي ، فن الحرب ، تعريب وإعداد العميد الركن سمير الخادم والعميد الركن هونغ شانغ، مؤسسة دار الريحان للطباعة والنشر ، بيروت . 1998 ، صفحة 125 .

قوة واحدة " مُخدَّرة ، جاهزة للتحرّك سيكولوجياً وجسدياً [1] حسب مشيئة المضلِّل لا حسب مشيئتها . الدعاية المضلِّلة بتمظهراتها كافة ، لا تكتفي بتسميم الجماهير فحسب ، بل تتعدى ذلك الى إغتصابها [2] ، وخاصة الدعاية السياسية فإنها سلاح فتّاك يقتضي مواجهته وخاصة في عصرنا الحالي حيث تطورت وسائل الإتصال الدعائية والإعلامية ، وحيث ان الصراع الإعلامي الكوني هو في ذروته بين الدول والأمم والشعوب .

**

ان إجراءات [3] المواجهة لهي كثيرة ، نذكر منها :

- خلق مجموعات من الباحثين وعلماء السيكولوجيا والإجتماع ومن الإعلاميين والجامعيين والمتخصصين ، وأيضاً من علماء التكنولوجيا والإتصالات ، والفلاسفة والألسنيين ، وذلك من أجل دراسة " ظاهرات التسميم الإعلامي " ولا سيما السياسي منه ، وحصرها وتفكيكها ودراسة أبعادها وخلفياتها وقوة تأثيراتها وتردداتها .
- تثقيف الشعب وتركيز وعيه على مظاهر التسميم وعلى خصائصه المدروسة والمُمنهجة والمخطط لها .
- حث الجماهير على عدم الإنصعاق والإنفعال لمفاعيلها ، وبالتالي

---

1 - أنظر في هذا المعنى :
TCHAKHOTINE SERGE. *LE VIOL DES FOULES PAR LA" PROPAGANDE POLITIQUE* . GALLIMARD. PARIS . 1976. P. 365.

2 - عنوان مضمون كتاب سارج شاكوتين "اغتصاب الجماهير بواسطة الدعاية السياسية" المنوّه به اعلاه.

3 - أنظر في بعض هذه الإجراءات: *LES DÉSINFORMATIONS ARME DE GUERRE* P 21

الى عدم الإستسلام والخضوع لها .

- حث الجماهير على الشك بمضامينها وبمصادرها والوسائل التي بثتها كما الشك بالعاملين فيها .

3 - التضليل بواسطة الاختلاق الكلامي

أ ـ مقاربة في مفهوم الاختلاق الكلامي

يقوم الاختلاق الكلامي على قاعدة ان الكلمة تخلق واقعاً عبر الخطاب الملفوظ أو المكتوب أو عبر الإشاعات، يتوسّل المضلِّل الكلام ليختلق واقعاً زائفاً لا وجود له، ولا تعيّن له في عالم المحسوسات لأن «الواقع ... ما هو موجود وهو بعكس ما هو غير موجود»[1]. الاختلاق الكلامي يختلق الواقعة ويؤسّس لوجودها كلامياً، ويكون مغايراً ومتناقضاً للواقع المحسوس، ويولّد في ذهن المضلَّلين وقائع وهمية تؤثّر في نفوسهم وعقولهم، فتوجّههم وتتلاعب بهم على أساس أنّها وقائع صحيحة، وهي ليست كذلك، وبالتالي فإن المضلِّل يمارس تضليلاً مزدوجاً. يقول غي دورندان: «لقد اعتدنا منذ طفولتنا العيش في عالم من الكلمات. وللكلمات بالنسبة الينا، قيمة الواقع، فماذا يفعل الداعية؟ انه يقدم لنا هو أيضاً عالماً معيّناً مصنوعاً من الكلمات، ويراهن على عادتنا في الاعتقاد انه حيث توجد الكلمات هنالك وقائع تقابلها»[2]. الكلمة يجب ان تصف الواقع، ان تفسّره، ان تعكسه كما هو متعيّن بذاته، لا كما يراه الرأي، او ترتبه المصلحة او

---

1 - "Le réel,... ce qui est, par opposition à ce qui n'est pas"
DURANDIN GUY, *LES FONDEMENTS DU MENSONGE*, FLAMARION PARIS, 1972. P.159

2 - دورندان غي، الدعاية والدعاية والسياسة، ترجمة رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986 ، ص 28 - 29

كما تشتهيه الميول. وللإختلاق بواسطة الكلام تمظهرات عديدة في عالم السياسة، نذكر ههنا أهم نماذجها الحيّة.

ب ـ اختلاق الوقائع بواسطة الإشاعة والدعاية(*)

إنّ الإشاعة تتلخّص بمجموعة من الخطابات الملفوظة او المكتوبة التي تخلق بواسطة الكلام وقائع زائفة ليست موجودة في الواقع. ومن خصائصها «التناقض»[1] البينذاتي الذي يصيب مضمونها، و«الغموض»[2] و«التخمينات»[3] و«الخلط بين الخيال» و «جزء صغير من الحقائق»[4]. فهي قد تكون من نسج الخيال، و«قد يكون بعضها لا أساس له مطلقا»[5]، «وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلق كيانها وترويجها»[6]. وتزحف الإشاعة عبر «الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناولها الناس دون التأكد من صحتها، بل دون التأكد من صدقيتها»[7]، وتهدف إلى التضليل بالتشكيك والتأثير في نفوس المضلَّلين، وإلى «بلبلة أفكارهم»[8]. وقد تحمل بين طياتها كل «معاني الحقد والكراهية والتخريب»[9]. فالإختلاق الذي تنتجه

(*) تظهر "الدعاية على أنها فن الإقناع".
أنظر في هذا المعنى:
GOURÉVICH, JEN-PAUL, *LA PROPAGANDE DANS TOUS SES ÉTATS*, Flamarion, France, 1981, p 110

1 ـ نصر صلاح، الحرب النفسية ... المصدر المذكور، ص 228
2 ـ المصدر ذاته .
3 ـ المصدر ذاته، ص 249
4 ـ المصدر ذاته، ص 228
5 ـ المصدر ذاته
6 ـ المصدر ذاته
7 ـ عبد القادر حاتم محمد الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993،ص 499.
8 ـ المرجع ذاته، ص 497
9 ـ الحرب النفسية ... المصدر المذكور، ص 228

الوقائع الزائفة ، يهدف إلى خلق قناعة جديدة لدى الرأي العام بهدف تضليله. واختلاق الوقائع الوهمية بواسطة الإشاعة ، ينتهج دوماً الطرق الكلامية ؛ فتسير الإشاعة معروف بها نسمّيه «بالفم إلى الأذن»[1] أي ان الكلمة المضلّلة تهمس في أذن المضلَّلين الذين يتناقلوها بالأسلوب نفسه، والذين ينفّذون عمليات الاختلاق بواسطة الإشاعة «يُسَمّون بعملاء العمل السيكولوجي وهؤلاء يكونون عادة ممّن هم على اتصال دائم مع اكبر عدد من الناس بحكم وظائفهم في المجتمع، والذين لهم رصيد معيّن من الثقة عند الجمهور، كالأطباء ورجال الدين والمعلّمين واصحاب المقاهي والسائقين»[2].

والرأي العام يتأثر تأثراً شديداً بالاختلاقات المزيّفة للوقائع، وتبقى هذه الاختلاقات في عقول المضلَّلين ونفوسهم وعلى بساط البحث والتداول، وحتى بعد أن تنفيها شخصية رسمية، تحوز على ثقة بمقدار كبير، ومثال ذلك ما حدث «بعد ضربة «بيرل هاربور»* وما رافقتها من موجة انهزامية في الرأي العام، وقد استمرّت هذه الإشاعة في التداول بنسبة 44٪ حتى بعد تدخّل «روزفلت» شخصيا لنفيها»[3].

ويتأتى التضليل الاختلاقي للكلام بصورة التعمّد، أو بوجه غير مقصود

---

1 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 348

2 - المرجع ذاته

● وتمثل قضية بيرل هاربور شكلاً من اشكال النماذج العملية للتضليل الكلامي بواسطة الإشاعات في يناير وفبراير من عام 1942 غمرت امريكا شائعات مفزعة لم تتغيّر، وفحوى هذه الشائعات ان خسائر الأمريكيين في الهجوم الذي تعرضت له «بيرل هاربور» أعظم بكثير مما اعترفت به السلطات، فزعمت بعض الشائعات أنّ الأسطول الأمريكي للمحيط المعادي قد غرق في «بيرل هاربور» في يوم 7 ديسمبر، وزعمت شائعات اخرى ان 1000 طائرة دُمرت على الأرض في نفس اليوم.

أنظر في هذا المعنى، حاتم عبد القادر محمد، الرأي العام ... المرجع المذكور، ص 502

3 - سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 348

عبر الدعاية[1]: بآليات الخطابة، الصحافة، وفي وسائل الاعلام المرئية أو المسموعة «وان عصرنا الذي عرف النجاح الساحق لدعاية قائمة على الكذب، ليَحمِلَ في الوقت نفسه علامات فشلها الذريع، فالخطب الملتهبة والبلاغات الكاذبة، والأحاديث الشعرية، أدّت في النهاية إلى مضاعفة العطش إلى الواقع»[2].

لقد «اعتبر غوبلز[3] «ان الدعاية والحقيقة لا تتوافقان، فالحقيقة التاريخية ليست من شأننا بل من شأن عالم التاريخ، أمّا نحن فعلينا ان نحترم الضرورة التاريخية، والضرورة تقتضي بأن نتوصل إلى إقناع الرأي العام»[4]. ومن أهم تمظهرات الدعاية التضليلية، المبالغة الكلامية في نقل الواقعات وتضخيمها، وتثبيت هذه الاختلاقات بأدلّة وأرقام ولو كانت زائفة[5] واختلاق عالم جديد

---

1 ـ كانت الدعاية أو الحرب النفسية في الماضي تعتمد على الكلمة الملفوظة وتلك المكتوبة، ثم اصبحت الأن تعتمد على الكلمة الملفوظة والمصوّرة. وبظهور وسائل الاعلام، أصبحت الدعاية أسرع انتشاراً وشمولاً وقوة، وأصبح لها جمهور عريض يصل الى الناس في سائر أطراف المعمورة. إرتبطت الدعاية بالإقناع الفكري والسياسي وأصبحت أداة الساسة والاحزاب والمنظمات والشركات والدول، وسلاحاً فعالاً سائداً في السلم والحرب.

وبهذا المعنى أيضاً

أنظر، ابو عرقوب ابراهيم، معجم مصطلحات الحرب النفسية، الجامعة الاردنية، قسم علم الاجتماع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1992، ص 136-135

2 ـ حاتم عبد القادر محمد، الرأي العام ... المرجع المذكور، ص 456

3 ـ غوبلز جوزف، وزير الدعاية النازية ومن احد اهم معاوني هتلر.

4 ـ سعد بسام، في الدعاية السياسية ... المرجع المذكور ، ص 215

5 ـ إستخدم غوبلز التضليل الدعائي، وركّز على عنصر المبالغة في تضخيم الواقع عبر الكلام، «فقد ادعى أنّ لديه عشرة آلاف داعية، بينما كان عددهم في الحقيقة لا يتجاوز الثلاثة آلاف. أليس هو القائل، «اذا كانت فكرة المبالغة توصل بالضرورة الى العظمة فلماذا لا استغلّها ؟». أنظر في هذا المعنى المرجع ذاته.

بواسطة الكلمات المضلّلة»[1].

ج - إختلاق الوقائع بواسطة الشعر[2] وأوجه البلاغة

○ إنتهاز الشعراء للبلاغة التي قد تؤدّي إلى التضليل

قد يستخدم بعض الشعراء شعرهم لتضليل الناس، بدوافع وخلفيات سياسية لتحريضهم والتلاعب بهم عبر محاكاة شعورهم، وقد يكون التضليل الناتج من الشعر مردّه وقوع بعض الشعراء في الخطأ المنهجي، نتيجة لهوسهم، او

---

1 - لتصور بلدين في حالة حرب «أ» و«ب»، لنفترض ان «أ» يريد جرّ بلد محايد الى الانضمام اليه لاعلان الحرب على «ب»! وتكون الطريقة المتبعة بسيطة للغاية. اذ يكون على الداعية ان يخلق، بواسطة الكلمات، عالماً جديداً. سيطلق كلمة «فظاعات» وستنتشر تدريجياً الفكرة القائلة ان «ب» يرتكب «الفظاعات» ثم سيحدّد بدقّة أنّ «ب» يرتكب «الفظاعات» على الاطفال، أي انه سيتمّ بعبارة أخرى إدخال كلمة جديدة: أطفال. كما سيحدّد أيضاً أنّ «ب» قد فقأ عيون أطفال. أي انه سيتم ادخال كلمة اخرى: العيون. وماذا سنعرف عن كل ما حدث في الواقع؟ لا شيء. ولكننا سنميل الى تصديق كل ما ورد، كما سنميل الى السخط. لماذا؟ لاننا اعتدنا، منذ طفولتنا، تصديق الكلمات، وعلى الاستجابة للكلمات. وهكذا، فان الظروف التي تحيط بنا حين نكون خاضعين للدعاية السياسية لا تشكل إلاّ حالة خاصة من الطريقة التي نكتسب تبعاً لها اكثرية معارفنا. عنينا بذلك إكتساب المعارف بواسطة اللغة، وليس انطلاقا من تجربة فعلية في الواقع.

أنظر في هذا المعنى، دوروندان غي، الدعاية والدعاية السياسية. المصدر المذكور ، ص 29.

2 - ● الشعر يمكن استخدامه إستخداماً صحيحاً، كما يمكن إساءة استخدامه، والشعر قد يؤدّي الى الابداع والى تأجيج الخيال العلمي والى الاختراعات العلمية، وقد يؤدّي اذا ما أسيء استعماله الى الخداع والتضليل.

●● وفي أغلب الأحيان فإنّ الشعر يعتريه الغموض والإبهام ، ومردّ ذلك إلى الطبيعة الفنّية التي تحكمه والمادة اللغوية التي تشكّله والمنبع الشعوري الذي يغذّيه.

أنظر في هذا المعنى، القعود محمد عبد الرحمن ، الإبهام في شعر الحداثة عالم المعرفة، الكويت، عدد 279، 2002، ... المرجع المذكور ، ص 7و12و14.

لعقدة نفسية كامنة فيهم، او نتيجة غرورهم وولعهم لإظهار مقدرتهم وبراعتهم، والشعراء ميّالون إلى ارتكاب المغالطات، أي ايقاع الناس في الغلط من خلال الأوهام التي يحملها شعرهم، وهذه الأوهام الكلامية المضلّلة، نجمت عن سوء استخدام بعض الشعراء لما يسمى «البلاغة»، التي تحتوي في مكوّناتها بعضاً من العناصر التي تفتقر إلى الدقة المنطقية والمنهجية، والتي تخضع لحرّية الشاعر، وأهوائه وأحاسيسه وأهدافه. وبالتالي، فإن التعبيرات والجمل التي يطلقها بعض الشعراء يديرها منطق العواطف والشعور وليس منطق العقل. لذلك فإنّ استخدام العناصر البلاغية قد يجنح ببعض الشعراء إلى تضليل ذواتهم وتضليل غيرهم من الناس «فليس كلّ تشبيه جميلا، ولا كل استعارة مستحبّة، ولا كل كناية مستساغة، وليس مجرد الإتيان بالصور البيانية والمعطيات البديعية، عملاً بليغاً، إنما البلاغة تكمن في حسن استعمال هذه الأمور ومنحها القدرة على توضيح المعاني»[1]، فكثيرون يستعملون البلاغة للتضليل عندما يجرّونها «إلى الزيغ والضلال عن الغاية الأساسية»[2].

ونأخذ بعض الأمثلة عن العناصر المكوّنة للبلاغة، والتي قد تؤدّي إلى التضليل كالتصوير البياني الذي هو كناية عن «ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ، يتباين في وضوح دلالتها العقلية على ذلك المعنى»[3]. إنّ إيراد المعنى بطرق مختلفة ومتباينة، يؤدّي إلى التخبّط العقلي لدى المستمعين او القراء او المشاهدين، وينتج من ذلك عدم الوضوح من حيث الدلالة العقلية، والواقعية. وكذلك الحال

1 ـ ابو حاقه احمد، المفيد في البلاغة والتحليل الادبي، دار المنار للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.، ص 50

2 ـ المرجع ذاته، ص 12

3 ـ المرجع ذاته، ص 121

بالنسبة الى المجاز اللفظي «الذي يقوم على استخدام اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة التشابه»[1]. ان استخدام التشبيهات، والمماثلات مثلاً بين الواقع والخيال هي آليات بلاغية كلامية تطابق المتناقضات والأضداد فيما بينها، فتعاكس بذلك قواعد العلم والمنهجية الصحيحة، والتي يرفضها علم المنطق، الذي وضع شروطاً وقيوداً دقيقة عقلية ومنهجية لإجراء اي مماثلات أو اي قياسات أو تشبيهات. أما الكناية فهو «كلام اريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وُضع له»[2] و«التورية هي الإتيان بلفظ له معنيان»[3] وهي وجه من وجوه البلاغة قد يستخدمه التضليل بطريقة التمويه كما سوف نرى، و«المبالغة هي الذهاب في المعاني إلى حد مستبعد او مستحيل»[4]. وهذا ما يفيدنا أنّ المعاني في المبالغة لا تطابق الواقع، وقد تكون مستحيلة الوقوع ومستبعدة التحقق العيني والحصول الفعلي، انها قد تستخدم لاختلاق وقائع مموّهة أو زائفة عبر الكلام، ولقد اشرنا إلى هذه الطريقة التضليلية التي كشف عنها ابن خلدون.

ـ نموذج عن التضليل الكلامي بواسطة الشعر

إنّ هذه العناصر المكوّنة للبلاغة بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها قد تدفع بعض الشعراء بالوقوع في خطأ «هراء الشعراء»[5] إنطلاقاً من قاعدة يستخدمها هذا البعض تبريراً لإختلاقاتهم المضلِّلة «انها تجوز للشاعر ولا تجوز

---

1 ـ أبو حاقة أحمد، المفيد في البلاغة.... المرجع المذكور، ص 149

2 ـ المرجع ذاته، ص 147

3 ـ المرجع ذاته، ص 156

4 ـ المرجع ذاته، ص 190

5 ـ ليس فقط الشعراء هم الذين يستخدمون البلاغة للتضليل عن معرفة او عن جهل، انما هنالك لفيف من الأدباء والصحافيين ورجال الاعلام، والخطباء على وجه الخصوص.

لغيره»[1]. يقول ملحم قربان حول هذا النوع من التضليل: «جوهر الخطأ هو أن تعتقد بأن الكلمة تخلق واقعاً... وأن تعتقد أنّ كلمتك تخلق واقعاً، هو أن تدّعي الألوهية، وبعض شعرائنا لهوسهم الفنّي أو غير الفنّي، توهّموا ذلك، فيقول للشيء «كن فيكون» هو أن ترتكب خطيئة خطرة، لنا ان نطلق عليها اسم هراء الشعراء»[2].

---

1 ـ أبو حاقة أحمد، المفيد في البلاغة ... المرجع المذكور، ص 40

2 ـ قربان ملحم، المنهجية ... المرجع المذكور، ص 78

ويعطينا مؤلّف هذا الكتاب نموذجاً عن التضليل الكلامي الذي يمارسه بعض الشعراء، ولو بصورة غير واعية ربما، كاشفاً آليات هذا التضليل، مستنداً الى حوار حصل مع أحد الشعراء إسمه عبد الوهاب البيّاتي، في إطار «مهرجان القاهرة الاول للإبداع العربي الذي انعقد سنة 1984 وقد نقلت وقائع هذا الحوار مجلّة النهار العربي والدولي في عددها الصادر بتاريخ 30 نيسان 1984 - العدد 365 ص 51. وننقل هذا النموذج حرفياً كما علّق عليه الدكتور ملحم قربان فهو يقول: «ويتجلّى ما اخترنا تسميته «بهراء الشعراء» في المقطع التالي للشاعر عبد الوهاب البيّاتي. ويأتي هذا المقطع في ردّ الشاعر كالتالي:

«س- التفسّخ الذي صاحب الانهيار في الدول العربية (تنظيماً وتوحيداً) رافقه أو سبقه تحوّل العديد من الشعراء العرب الى شعراء نظام او أبواق حاكم. كيف تتصوّر الخلاص من هذا الانحطاط؟»

«ردّي على هذا؟ بالإبداع وحده يمكن تحدّي هذا الإنهيار الشامل الذي نراه في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبالشعر وحده، تحديداً، يمكن الخلاص، لأنه أقدر الفنون الأدبية على اختراق جدار المستحيل، بما يملكه من طاقة وقوّة على الرؤية والرؤيا والاستبصار واكتشاف القوانين الجديدة التي تولد من تحت انقاض الواقع».

السؤال محدّد وبسيط: «كيف تتصوّر الخلاص من هذا الانحطاط»؟

وتفسيره الأبسط يكون: كيف تتصوّر الخلاص من هذا الانحطاط الشعري؟ الانحطاط في حقل الشعر.

والجواب عنه - الجواب الأبسط يكون: «ردّي على هذا؟ بالإبداع...»

وإنّ كان هذا الجواب، وعلى هذا المستوى، أبسط المطلوب، جواباً، واجتهاداً، فإنه يبقى ينطوي على شيء من العنترية- العنترية التي تورّط كلّ من يدّعي التوصّل الى تحقيقها في ما نسمّيه بهراء الشعراء- أي الادّعاء بما يصعب تنفيذه بل بما يستحيل تنفيذه. فهل تحقيق الإبداع متوفّر لكلّ من تطلّبه وسعى اليه وسهر الليالي بغية تحقيقه؟ ويدّعي البياتي أكثر من ذلك بكثير- «بالإبداع وحده يمكن تحدّي هذا الانهيار الشامل الذي نراه في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية». ■

والتضليل الكلامي يتمظهر أيضاً ، عندما يُتلاعب "بالدلالات المعنوية للكلام" المتموضع في الخطاب الكلامي ، فيصبح المتلقي أمام خطاب متكوّن من مصطلحات ومعانٍ ومفاهيم وألفاظ كلامية مُتلاعب فيها ، حسب مشيئة وتوجيهات قصدية المضلِّل ، الذي يتلاعب بها وفق "قصديته الذاتية" وغايته النفعية ، وتلك الإيديولوجية ، لا وفق "القصدية الواقعية الموضوعية" ، الحاصلة على أرض الواقع حسّياً وتلمّسياً ، وهذا ما سنطلق عليه التضليل باستخدام التلاعبات الدلالية للكلام المُزوِّرة للواقع والمشوّهة له .

إذ "إن البشر لا يفكِّرون ويعملون نتيجة للكلمات التي تنصب عليهم وتؤثّر فيهم ، إنما بفعل معانيها ومدلولاتها" [1]

«إنّه، وبكلمات واضحة وفاضحة، لا يعالج الانهيار الشعري وحسب بل وكذلك الانهيار الشامل، الذي نراه في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

ويكتسب هكذا مفهوم التعبير: «هنا مهمّة الشعراء الحقيقيين، في قدرتهم على الصمود والتحدّي، مواصلة المسيرة»؛ وفوق معناه الذاتي الكثير المتطلّبات، معنىً موضوعياً- ذا المتطلّبات الأكثر والأكثر صعوبة. ويشفع بهذا التفسير للموضوعة المقصودة قوله: «وبالشعر وحده، تحديداً يمكن الخلاص، لأنه أقدر الفنون الأدبية على اختراق جدار المستحيل...».

إنّه لفاعل الأعاجيب. ومن هنا فهو أشبه بالله بعيد الشبه! وإذا اطلقنا صفة «هراء الشعراء» على الادّعاء- وهو ادّعاء توفّرت لنا البيانات على شيوعه على الشعراء، وان لم ينحصر بهم طبعاً- الإدّعاء بأن للكلمة قوّة الخلق. يقول الشاعر للشيء كن فيكون. فإنّ من مضامين هذا الاعتقاد أن يتصوّر الشاعر - هكذا شاعر - نفسه إلهاً»

قربان ملحم، المنهجية ... المرجع المذكور ، ص 81 و 82.

● وتتقاطع الدراسة التحليلية التي انطلق منها ملحم قربان حول وصف شعر البيّاتي مع مقالة نقدية لنهاد الكبريتي وصف فيها قصيدة «الملجأ العشرون» للبيّاتي بأنّها غامضة الصورة وغامضة المشاعر ولم يعد بالإمكان التعرّف إليها.

أنظر في هذا المعنى ، القعود محمد عبد الرحمن ، الإبهام في شعر الحداثة ... المرجع المذكور ، ص 11.

1 - كلاوس جورج ، لغة السياسة، ... المصدر المذكور ، ص 90.

4 - التضليل بالتلاعبات الدلالية للكلام (manipulation Sémantique)

- أ - السيميولوجيا أداة لكشف التضليل الدلالي للكلام

إن إحدى أنجع الأدوات والمنهجيات الحديثة لكشف التضليلات السيمنطقية (الدلالية الكلامية)، هي تلك التي تناولتها المباحث السيمولوجية الخاصة بالإشارات الكلامية واللغوية والألسنية، وإن علم الدلالة (Sémantique) ليس سوى جزء من علم "السيميولوجيا" (Sémiologie) أو (Semiology)[1].

إن هذه التسمية "الإيتمولوجية" الإشتقاقية، تأصّل من اللسان اليوناني، فكلمة (Séme‎îon) "ساميّون" في اليونانية تعني الإشارة و(لوغوس) (logos) تعني العلم، فتصبح كلمة "سيميولوجيا"، تعني علم الدلالات والإشارات، ونحن بصدد دراسة التضليل بواسطة الإشارات والدلالات الكلامية.

الكشف عن التضليل الدلالي "السيمنطيقي" للكلام الذي نبحثه ينطلق من معيار واقعي[2]، أي من علاقة المطابقة بين "الدال" (signifiant) الكلامي بالمدلول (signifié) الواقعي.

فإذا كان "الدال الكلامي" مطابقاً "للمدلول الواقعي" المُتلمّس حسّياً وفعلياً، يكون الخطاب السياسي الكلامي صادقاً، وإذا كان عكس ذلك، تكون الدلالة (signification) الكلامية في هذا الخطاب، دلالة مضلّلة، "إن

---

1 - موسوعة لالاند الفلسفية... المرجع المذكور ص 1265.

2 - إننا لسنا مع التأويل "الهرمسي" اللانهائي، الغامض، المتقلب، الذي لا يملك حدود، في شرح المظاهر الواقعية والتجريبية، إنما مع الشرح الواقعي الموضوعي لهذه المظاهر.

- هرمس، يرمز إلى المسخ الدائم، الكائن المتقلب، الغامض، فقد كان أباً لكل الفنون ورباً لكل اللصوص في الوقت ذاته، ولقد كان أيضاً شيخاً وشاباً، في الوقت عينه.

انظر في هذا المعنى، أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، 2000 ص 28 و29.

المقولة السياسية تكون حقيقة، فقط عندما يتطابق محتواها مع الوقائع الحاصلة بالفعل"[1]، وهذا يعني ان الحقيقة الواقعية تكمن في مطابقة الكلام للواقع "المطابقة بين الوقائع المحسوسة والعالم، و بين القول عنها والتفكير فيها" [2] يقول الفيلسوف وليم جيمس * : "إن الأفكار تصبح صحيحة أو حقيقية ، ان الأحداث تجعلها صحيحة ، إن صدقها يكون في الواقع حادثاً" [3].

وعليه "فإن التفسير الصحيح للواقعة السياسية ، المتمظهرة في الخطاب السياسي، يجب أن تتطابق فيه التفكيرات المتجلّية بالدلالات اللفظية والعبارات، مع الواقع الحاصل ، فعلى الخطاب السياسي ان يفسّر الوقائع تفسيراً موضوعياً، أي أن يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا ينظر إليها نظرة متحيّزة أو أن يؤوّلها تأويلاً نفعياً من المنطلقات الذاتية [4].

ان تأويل الواقع السياسي المحسوس ، إنطلاقاً من الذات المنفعية أو الغرائزية أو الديماغوجية أو الإيديولوجية أو السيكولوجية يؤدّي غالباً الى شرح الوقائع السياسية عبر الخطاب السياسي ، شرحاً تضليلياً .

ان كل شرح أو تأويل للخطاب السياسي عادة ، وفي كثير من الأحيان ، يتأثر بالحياة السيكولوجية والإجتماعية والإيديولوجية والسياسية للمُؤوّل عبر تأويلات وتفسيرات ودلالات يستخدمها، وهي تعكس شخصيته وتشبهها،

---

1 - كلاوس جورج ،لغة السياسة، ... المصدر المذكور ، ص 163.

2 - أنظر بهذا المعنى ، مفتاح محمد ، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء و بيروت ، 1999 ، ص 106 . وقد استند بذلك الى : Encyclopédie philosophique Universelle. *LES NOTIONS*. Dictionnaire 2. P.U.F. 1990 . p.p. 2717.2724.

* William James- 1842 - 1890) يعتبر من أهم الباحثين في ميدان الفلسفة البرغماتية .

3 - وليم جيمس، البرجماتية ، ترجمة محمد علي العريان دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 237 .

4 - يونان كلود ، طرق التحليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) ، بيروت ، 2009 ص 163.

وبهذا الصدد يقول أمبرتو إيكو "Umberto Eco" في كتابه العلامة "le signe": " ان كل تأليف ينتج عنه علامة تغطي المعيش النفسي ، والاجتماعي أو السلوك العملي ، أي ما يسمّيه بيرس * في كتاباته ، "في العادة التي تؤوّل وفقها الوقائع ، فنحن نؤوّل وفق غايات نفعية " [1] .

هذا في العادة ، حيث يلعب "اللاوعي" المتأثر بالموروثات الثقافية والاجتماعية والفكرية والسيكولوجية والسياسية والدينية والسلوكية دوراً مهماً في التأثير على شرح الوقائع وتأويلاتها ، فكيف هو الحال بالنسبة "للخطاب السياسي" الذي من المفترض ان يعكس الواقع الموضوعي، حيث يتم بناؤه التضليلي على "تركيبات كلامية" وتأويلات دلالية مضلّلة " و "تسخيرات لغوية" ، بواسطة التلاعبات اللفظية ، واللغوية وتلك المعنوية ، وبواسطة اختلاق المفردات الاصطلاحية وعلى صوغ المفاهيم المزوّرة والتلاعب بالدلالات والمعاني . وذلك انطلاقاً من عمليات التخطيط المسبقة، التي تدرس الخلفيات والأبعاد والأهداف والآليات والتأثيرات " ان هدف السياسة الأساسي ليس إكتساب مقولات صحيحة حول وقائع سياسية ، بل دفع البشر الى أنماط سلوكية معيّنة ، لتحقيق مصالح معيّنة " [2] .

ب - التضليل بالتلاعبات الدلالية للكلام ، سلاح صراعي خطر

ان التضليل الدلالي "السيمنطيقي" بالكلام ، يتمظهر في عصرنا الحاضر

● بيرس تشارلز ساندرز ، (1839 - 1914) (Pierce Charles Sanders) فيلسوف اميركي ، من مؤسسي السيمائية الاميركية ومن أهم أعمدة الفلسفة البرغماتية .

1 - أمبرتو ايكو ، العلامة ، تحليل للمفهوم التاريخي ، ترجمة سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء و بيروت ، 2007 ص 18.

المؤلف هو من مواليد (1932) سيمائي معاصر ، وروائي ايطالي .

2 - كلاوس جورج ، لغة السياسة ... المصدر المذكور ص 163 .

بتجليات وأساليب وآليات متنوعة ومتطوّرة ، مواكبة للحداثة والعصرنة ، عبر شبكات الإنترنيت التي باتت مرتعاً للصراعات والحروب والتي نذكر منها مثالاً لا حصراً : الدينية والعقائدية والسيكولوجية والإيديولوجية والسياسية والمخابراتية والدعائية والإعلامية والتجارية والمالية والإقتصادية، تركن هذه الصراعات الى شتى أنواع طرق التضليل وآلياته ، منها ما هو عقلي ومنها ما هو كلامي أكان لفظياً أو خطياً أو مسموعاً ، ومنها ما هو سيكولوجي ومنها ما هو مشهدي ، وتستعمل الدعاية القووية (التي تستعمل القوة) وسيلة فتاكة تسمّى "التضليل الإعلامي" ويقوم هذا التضليل، عبر الدعاية الاعلامية، على بث المعلومات والأخبار الكاذبة أو المموهة مستخدماً إما الأساليب المنطقية كالتحليل والتركيب ، وإما الأساليب العاطفية ، كالتحريض والتوير [1] أو التشهير والتحقير والإفتراء ، وهذه الوسائل تركن الى "الصورة" و "الكلمة" ، والخطورة في التضليل الكلامي تكمن ، في استخدام هذا التضليل ، التلاعب بالدلالات [2] المعنوية والواقعية للكلام في تشويه معاني الدلالات التي تعكس الواقع . فتصبح "الدلالات الكلامية" المضلّلة أسلحة صراعية فتّاكة ، فهنالك مثالاً لا حصراً ، الدلالات المُخادعة والدلالات المموّهة والغامضة والمغشوشة والمُلتبسة والكاذبة والمُداورة والمُشكِكة والمُدلّسة والمُشوّهة، وأيضاً الدلالات المجافية للحقيقة المنطقية الواقعية. [3].

---

1 - أنظر في هذا المعنى ، بونان كلود ، طرق التضليل السياسي ، ... المرجع المذكور ص 11.

2 - La pereversion sémantique . الافساد الدلالي ، التشويه الدلالي ، التحريف. أنظر في هذا المعنى: ABOU Sélim, ***l'indentité culturelle. Relation Interethniques et problèmes d'acculturation***, Paris, Anthropos, 3ème édition . Hachette 1995 .. P.P. 149 - 150

3 - يماثل بيرس بين الدراسات السيميائية والعلوم المنطقية . أنظر في هذا المعنى: Charles Sanders Peirce, ***Collected of Charles Sanders Peirce***, 8 vols. (Cambridge; Harvard University Press, (1958 - 1931) Paragraph 2.227..

ج - نموذج عن التضليل باستخدام التلاعب بالدلالات الكلامية

غالباً ما تلجأ الخطابات السياسية الإيديولوجية، الى استخدام مثل هذه التلاعبات الدلالية، لترسيخ كلماتها وإشاراتها[1]، في أذهان الشعب وخيلاتهم، وفي تبرير أفعالها، بصياغات كلامية دلالية مُضلّلة محاولة فرض رؤيتها لا إنطلاقاً من الواقع الموضوعي، إنما إنطلاقاً من أهدافها السياسية المنفعية والمصلحية الملائمة لأبعادها التكتيكية أو تلك الإستراتيجية.

فإذا اخذنا الخطاب الإيديولوجي القائل "بفرض السلام" ويدلّل عنه سيميولوجياً "بالدال الكلامي" وذلك للدلالة والإشارة الى "المدلول الواقعي" الذي يعبّر عن الوقائع والأحداث والظواهر الحاصلة على أرض الحقيقة الواقعية، والمتمظهرة "بوجود هجوم مسلّح، وما يصحبه من احتلال"، فإن العلاقة "الدلالية" بين "الدال الكلمي" و "المدلول الواقعي" هي علاقة "مضلّلة". وذلك للأسباب المنطقية والواقعية والمعنوية الآتية:

- للعلاقات التناقضية والمتضادة البينذاتية القائمة داخل "المدلول الكلامي ذاته".

إذا قاربنا "المدلول الواقعي" لمعنى "الدال الكلامي" لمفهوم "الفرض"،

- في المفهوم "البيرسي" يستحيل التمييز بين الحقيقة والواقع، فهما اسمان لشيء واحد بعينه. أنظر في المعنى: حامد خليل، المنطق البراغماتي عند تشارلز بيرس مؤسس البرغماتية، دار الينابيع، دمشق ١٩٩٦، ص 266. ويعرّف بيرس أيضاً المنطق على أنه العلم الذي يبحث في طبيعة الحقيقة ومعناها، ويسعى الى وضع أفضل الطرق لإكتشافها. أنظر في هذا المعنى: المرجع ذاته، ص 44.

1 - ان السيميائية أو السيميولوجية حسب أمبرتو ابكو تُعنى بكل الموضوعات التي تتناول الإشارات من كلمات، وصور، وأصوات.

أنظر في هذا المعنى: Umberto Eco, *A Theory of Semiotics, Advances in Semiotics* (Bloomington. Indiana University Press, 1967), p. 7.

فإن تمظهراته الواقعية تتخذ لها دلالات ملموسة، تتمثل بالإكراه والقهر والإرغام والإجبار باستخدام القوّة، والقسر، إن هذه التمظهرات القووية تتناقض مع الرغبة الحقيقية والإختيار الصحيح والإرادة الحرّة .

كما ان "المدلول الواقعي" لمعنى "الدال الكلامي" لمفهوم "السلام" يتمظهر بالعدالة والتوازن بين الحقوق والواجبات ، والتأكيد على قيمة الإنسان وكرامته ، وإنماء طاقاته ومواهبه والمحافظة على حياته ، وصونها من كل ما يحط من قيمتها ، ومن كل ما يناقضها كالقتل والتعذيب الجسدي والمعنوي والضغط النفسي والسجن دون مبرر ، والإستعباد والتهجير والإقتلاع البشري من الأرض التي يمتلكها أو يعيش فيها . السلام الحقيقي ينطلق من احترام حرية الإنسان .

وتأسيساً على ما تقدّم ، فإن السلام لا يُفرض ، ولا يُبنى على القوّة وتمظهراتها . ولا على تكديس الأسلحة ، ولا على التسلّط ، ولا على المظالم ، ولا على الحروب .

- للعلاقات التناقضية والمتضادة القائمة بين "الدال الكلامي" "السلام" ، و "المدلول الواقعي" المتمظهر "بالوجود المسلح، وما يصحبه من احتلال" .

ان الوجود المسلح والإحتلال ، هي وقائع حربية ، فالحرب يستخدم العنف المسلح والقوّة وإجبار الخصوم بواسطة هذه الوسائل القووية للخضوع لإرادة مستخدم القوّة الحربية .

ان مفاعيل الحرب تكمن في توليد الدمار والخراب ، على المستويات الإقتصادية والمادية والمعنوية ، كما في توليد العداوات والأحقاد .

يقول الفيلسوف كانط : "إن الحرب من شأنها ان تقود الى التدمير ...

ومعها تدمير كل أنواع الحقوق ، لا تبقي ، اذا ما حصلت ، مجالاً للسلام الدائم اللهم إلاّ في رحاب مقبرة الجنس البشري[1] ".

ان هذه العلاقات الدلالية المتناقضة والمتضادة ، ليست سوى تلاعبات مضلِّلة يركن إليها الخطاب الإيديولوجي .

- ما هي الدلالات الكلامية المضلِّلة المستقرأة من هذا الخطاب ؟، وهي مثالاً لا حصراً .

* الدلالة الخداعية

ان الخداع هو إظهار شيء بخلاف ما هو خفي؛ أي إخفاء أمر واقعة عن طريق إظهار واقعة أخرى ، وهو طريقة تضليلية يجري عبرها التلهي بالإيحاء عبر المظاهر المتعارضة مع الحقيقة والواقع ، تعارض الظاهر مع الخفي ، وتعارض المنظور مع المستور ، والتعارض في المنطق ، يتضمن التضاد والتناقض[2]. في هذا الخطاب الإيديولوجي المضلِّل ، نلاحظ من جهة أولى، أن التناقض والتضاد حاصلان ضمن المدلول الكلامي ذاته ، "فرض" "السلام". أي في "العلاقة البينذاتية" بين المفهومين، ومن جهة ثانية نلاحظ أن التناقض والتضاد حاصلان بين المدلول الكلامي "السلام" والمدلول الواقعي " وجود هجوم مسلّح وما يصحبه من احتلال" أي الأعمال الحربية .

---

1 - كانط عمانوئيل ، نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ترجمه وقدّم له نبيل الخوري، دار صادر، بيروت، 1985، ص 36

2 - أنظر في هذا المعنى ، يونان كلود طرق التحليل السياسي... المرجع المذكور ، ص 131 .

إن علاقات التناقض والتضاد والتعارض لهي أدلة منطقية وواقعية ومعنوية ، تثبّت "الدلالة الخدّاعة" لهذا الخطاب الإيديولوجي .

* الدلالة التمويهية

ان التمويه هو تلبيس ، الذي هو تغطية شيء بشيء آخر ، بحيث يحصل إخفاء الحالة الحقيقية[1]

الكلمة الثانية من الدال الكلامي "السلام" حلّت في الخطاب السياسي محل حالة أخرى ، الحالة الواقعية والحقيقية المتمثلة "بالمدلول الواقعي" المتمظهر واقعياً "بالوجود المسلّح والإحتلال" "السلام" كشف عن نفسه على أنه الحالة الحقيقية والواقعية ، وعليه يكون "الدال الكلامي" "السلام" المتناقض مع "المدلول الواقعي" قد غلّف الحالة الواقعية، وأخفاها ، وحجبها ، وسترها ، وقنّعها ، وبعبارة أخرى الدلالة التمويهية هنا تكمن بأن "حالات الحرب الواقعية" تموّهت بدلالة لفظية متناقضة مع جوهرها ، تمظهرت بكلمة "السلام"، فجوهر "السلام" متناقض ومتضاد مع جوهر الحرب والسلام ينفي الحرب ، فإذا حلّ السلام انتفى الحرب والعكس هو الصحيح .وإذا حلّ الحرب انتفى السلام .

* دلالة الخلط التلفيقي المؤدية الى الإلتباس

يهدف الخلط التلفيقي التضليلي ، الى الجمع بين قضيتين متناقضتين ، فما يثبت بحق الأولى، ينتفي بحق الثانية ، لأن التناقض علاقة قائمة بين حدّين يكون أحدهما نفياً للآخر ، والعكس بالعكس ، والعلاقة بين القضيتين المتناقضتين ليست علاقة ربط منطقية ، إنما علاقة عشوائية والخلط التلفيقي يعني أيضاً المزج

---

1 - أنظر في هذا المعنى ، يونان كلود طرق التحليل السياسي، المرجع المذكور ص 146

بين عناصر متعارضة[1]

ان التضليل الدلالي بواسطة الخلط التلفيقي يظهر هنا في المكونات البينذاتية "للدال الكلامي" ، لقد خلط هذا الدال الكلامي المتمثل بمقولة "فرض السلام" ، بين مفهوم "الفرض" الذي يستخدم القوّة والإكراه والإجبار، كما أسلفنا القول، ومفهوم "السلام" وتمظهراته التي أسلفنا ذكرها ، المجافي والمتناقض والمتضاد والمتعارض مع المفهوم الأول ، يؤدي هذا الخلط التلفيقي بين عناصر "الدال الكلامي" الى الإلتباس ، فيختلط في ذهن المتلقي الضدّ مع ضدّه، والنقيض مع نقيضه ، والخطأ مع الصواب ، والحق مع الباطل ، والعقلاني مع اللا عقلاني ، فيقع العقل في حالة من صعوبة التمييز أو إستحالته ، نتيجة الخلط التلفيقي وهذا يؤدي الى الإلتباس الدلالي ، وبالتالي الى التضليل الكلامي .

---

١ - أنظر في هذا المعنى ، يونان كلود ، طرق التضليل السياسي ... المرجع المذكور ص ١٥١ .

خاتمة

لقد أسهمت من خلال هذا الكتاب ، بتسليط الأضواء على تراث فكري مهم ، من حيث النظرية والممارسة ، عنيت به « الفكر السفسطائي » ، الذي لا يمكن لأي دارس أو باحث أو ممارس في مجالات السياسة والفلسفة والدعاية والسيكولوجيا، والإعلام والاستراتيجيا والديبلوماسية ، إلا المرور والغوص فيه، لأنه يكتنز في بطونه التجربة العميقة للممارسة السياسية والدعائية في (البولس) اليونانية ، حيث تولد معنى السياسة ، « البوليتيكوس » تنظيراً وتطبيقاً نتيجة الصراعات الفكرية والعملية بين زعماء الحركة السفسطائية . والحركة السقراطية الافلاطونية الأرسطية. هذا الصراع الذي ما زال قائماً حتى يومنا هذا بين المثالية والبراغماتية.

ويمكنني القول بكل ثقة ويقين ، بأن كل مؤسسة في المجتمع أكانت سياسية أم مدنية ، تتخذ من « الكلام » و « الرأي » مواضيع وأهدافاً لها . إن لم تدرس وتتعمّق « بفلسفة اللوغوس الكلامي » وعلاقته « بالرأي » وخاصة عند أعلام الحركة السفسطائية ، ستبقى بهذا الصدد ، ناقصة في التجربة والمعرفة .

يبقى القول ، إني لا أدّعي لنفسي من خلال هذا الكتاب ، بأنني عالجت كافة طرق التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي بل حاولت، ذلك لأن الأفق في هذا المجال واسع ومنفتح ومتطور، فهنالك طرق أخرى مهمة في التضليل الكلامي نذكر منها مثالاً لا حصراً :

- الدياغوجيا ، وهي طريقة تضليلية كلامية هدفها تضليل الشعب بواسطة الكلام ، وقيادته بصورة مخادعة الى حيث لا تريد مشيئته ، بل حسبما تريد إرادة الدياغوجي المضلِّل. وهي تستعمل آليات التملّق والتسويف والتكيّف مع الآراء والعقائد بهدف السيطرة والتسلط والمنفعة .

ويستعمل التضليل الكلامي ايضاً ، المناهج المنطقية المزيّفة الشديدة الخطورة، باستخدام الجمل والعبارات والمقدمات الكلامية، التي تبدو في ظاهرها إنعكاساً للحقيقة والواقع ، أما في نتائجها فهي مزيّفة ومضلّلة، ذلك أن التضليل السياسي يوظّف آليات العلوم المنطقية، بذلك يشمل الطبقات المثقفة والمفكرة وتلك غير المتعلمة وغير المثقفة، فالجماهير لا يهمها التدقيق في البيانات المنهجية والمنطقية للخطاب السياسي، إنما يهمها "الوجبات الكلامية الجاهزة" المُمتعة والمشوّقة التي تدغدغ شعورها وعواطفها وغرائزها.

ويركن التضليل الكلامي أيضاً بواسطة الكلام الى تقنيات التلفيق والتوفيق والتعقيد لإثارة الإلتباس والغموض، مبتغياً تضييع وتحيير الجماهير، كإطلاق مقولات كلامية غامضة .

ومن أهم طرق التضليل الكلامي « الكذب» حيث لا تطابق بين الفكر واللسان وبين اللسان والفعل وبين الكلمة والواقع .

وأيضاً التمويه الكلامي الذي يبتغي إخفاء الحقائق والوقائع بواسطة الستائر والأقنعة الكلامية ، ونذكر في هذا الصدد : التمويه الإيديولوجي الذي يمتهن الكلام للسيطرة على الوعي الفردي والجماعي . كما نذكر ايضاً طريقة التشويه الكلامي التي تطال الوقائع والأشخاص وغالباً ما تستخدمها بعض وسائل الاعلام والدعاية وتقنيات التعمية والتعتيم.

ملاحظة: إن هذه الطرق التضليلية تمت معالجتها في كتابنا، طرق التضليل السياسي،.... المرجع المذكور

ويركن "التضليل الكلامي" أيضاً في العمليات التجارية إلى "الإشاعات التجارية"(*) المتكوّنة من "الكلمات الشفويّة" كطريقة تضليلية صراعية تنافسية بين الشركات التجارية، "فبرغم تكاثر الوسائل الإعلامية، لا تزال العامة، تستقي الكثير من معلوماتها من المحادثات الشفوية، بل أن جلّ ما فعلته الوسائل الإعلامية الأولى، بعيداً عن إخماد الشائعات، كان جعلها أكثر تخصصاً، بحيث باتت كل وسيلة تنشر الشائعات في مجال محدد وخاص بها"[1].

وهناك أيضاً "التضليل الكلامي" المُستخدم في "العمليات التجارية" بهدف الترويج الإعلامي والدعائي، بغية تحصيل الأرباح . من إحدى تجلّياته

(*) ان الإشاعات لا يقتصر استخدامها في الصراع السياسي فحسب، إنما في مجالات الصراع التجاري والإقتصادي، وأيضاً في حقل الصراعات بين الفنانين، وفي بناء النجومية والشهرة، وفي مجالات الصراعات المالية والبورصة، وحتى داخل المصانع والمكاتب، قد تتحوّل الإشاعات من طريقة صراعية تنافسية بين الشركات، الى أسلحة إعتدائية تدميرية تهدف من خلالها كل شركة الى تدمير الشركات الأخرى المنافسة، ونذكر مثالاً لا حصراً بعضاً من هذه الشائعات الإعتدائية :

• منذ العام 1981، تتلقى شركة بروكتير أند غامبل procter and Gamble ، التي هي إحدى أبرز الشركات الاميركية المنتجة للسلع الاستهلاكية الأساسية، آلاف الاتصالات الهاتفية في الشهر الواحد من مستهلكين قلقين، للاستفسار عن مدى صحة شائعة تقول إن للشركة المعيّنة علاقة بالشيطان . وبحسب هذه الشائعة، يخفي شعار الشركة المتمثل بوجه إنسان يحدق الى النجوم، لا عد لها ولا حصر، مجموعة من الرموز الشيطانية . فإذا حدق الناظر الى الشعار ملياً فيكتشف ان النجوم ترسم بطريقة انتظامها العدد الشيطاني الشهير 666. ويبدو ان هذا الرسم جاء ليدعم ما روّجت له الشائعة ومفاده أن شركة بروكتر أند غامبل تحالفت مع الشيطان من أجل مضاعفة حجم أعمالها وخصصت ما نسبته 10 في المئة من أرباحها لاحدى الملل التي تعبد الشيطان".

• وفي آخر العام 1966، مست الشائعة أحد المتاجر الشهيرة للملابس الجاهزة في مدينة روان Rouen شمال فرنسا، بأنه غطاء للمتاجرة بالرقيق الأبيض . وعلى الأثر، كثرت التهديدات الهاتفية، فاضطرت مديرة المتجر التي فشل نفيها للشائعة في إخمادها، إلى الاستسلام والرحيل، أنظر : كابفيرير جان - نويل، الشائعات، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2007، صفحة 9 و 10 .

• 1 - المرجع ذاته .

ما سمّاه "فانس باكارد"

"VANCE PACKARD" "THE HIDDEN PERSUADRES"

وهو عنوان كتابه المترجم الى الفرنسية ويحمل تسمية : "La Persuasion Clandistine" ، [1] أي "الإقناع الخفي" الخبيث حيث يتوجه فيه "التضليل الكلامي" ليطال المناحي السيكولوجية الواعية وغير الواعية للإنسان، الذي يطلق عليه في عالم التجارة "الزبون" .

تُرصد لعمليات "الإقناع الخفي" التجارية، أموالاً ضخمة ، وتلجأ الشركات التجارية المشهورة الى علماء النفس والسوسيولوجيا والسيميولوجيا والى خبراء الدعاية والإعلام والتصميم، من أجل صناعة منهجيات وآليات "الإقناع الخفي" حيث يتخذ "الكلام" منه الحيّز الأكبر في عمليات "تضليل العقول وفبركة الأفكار" [2]. لقد صرّح رئيس نقابة العلاقات العامة التجارية في أميركا : بأنه يعمل" من أجل فبركة الأفكار" [3]، ان الترويج التجاري يهدف قبل بيع السلع الى "بيع الكلام" و "الأفكار والآراء" [4] "فالنساء مثلاً يشترين وعداً كلامياً ... ومصنّعو أدوات التجميل لا يبيعون (مستحضرات تجميلية) فحسب ، إنما يبيعون الآمال ..." [5] ، بواسطة عمليات الإقناع الخفي المرتكزة في أغلب الأحيان على التلاعبات الكلامية التشويقية الإغوائية الإغرائية .

---

1 - VANCE PACKARD, *La persuasion Clandistine* , Traduit de l'américain par HÉLÈNE CLAIREAU , calman – lévy. France . 1958.

2 - انظر في هذا المعنى ، المرجع ذاته ، صفحة 10 .

3 - المرجع ذاته .

4 - المرجع ذاته صفحة 8

5 - المرجع ذاته ، صفحة 12 ، مع الملاحظة ان الترجمة هي بتصرف.

مسرد المَفاهيم والمُصطلَحات

آثرنا في كتابنا هذا ، وضع هذا الثبت ببعض المفاهيم والمُصطلحات ، وبخاصة تلك المنقولة عن اللسان اليوناني ، تسهيلاً وإرشاداً للقارئ ، لكي لا يجد صعوبة في فهمها والتعرّف على معانيها ومدلولاتها ، وهدفنا الموضوعي في ذلك ، تعريف الناس أكانوا عاديين أم أكاديميين أم متخصّصين على بعض المُرتكَزات النظرية والواقعية التي كانت بعض الإتجاهات السفسطائية تركن إليها ، لمُمارَسة التضليل بواسطة اللوغوس الكلامي بهدف السيطرة والتسلط على الجماهير، محاكاة لما يدور رحاه في عالمنا المعاصر . كما هدفنا من وضع هذا الثبت تبسيط المعاني والألفاظ والمصطلحات ، لكي يَتفهَّمها القارئ ويستوعبها ويتكيّف مع تفسيراتها وشروحاتها ، ويتآلف مع معانيها ، ولكي لا يشعر بأنها غريبة عنه ، كل ذلك للوصول الى قراءة ممتعة سهلة ، فعّالة ، هادفة . وأننا نوردها على الشكل الآتي :

- 1 - أباتي : APPATÉ

إن اللوغوس عند السفسطائي غورجياس ، يحتوي في جوهره على الأباتي (AppatÉ) وهو مصطلح ذو أصل يوناني، فهو مزيج من الخداع المقترن بالإغواء ويمكننا ان نطلق عليه " الخداع الإغوائي " حسب غورجياس . ومن خلال إجراء المقارَبات والمقارَنات القاموسية تَبين ان هذا المصطلح له معَانٍ أخرى كالإحتيال، والتلاعُب ، والمُخاتَلة ، والطعم الإغرائي المجتذب المغوي المُوهم، وكل هذه الخصائص هي طرائق تضليلية كان اللوغوس الكلامي السفسطائي يستعملها للسيطرة على الشعب .

-2 - الإرستيك : ÉRISTIQUE

جدلية تضليلية كلامية سفسطائية تقوم على البهلوانية اللفظية ، والقياسات المُموَّهة التي لا تثبت شيئاً ، وغايتها الإفحام والتضليل .

- 3 - الاستقراء INDUCTION

منهج علمي ينطلق من الحقائق الجزئية المستخلصة من الواقع للتوصل إلى صوغ النتائج والأحكام العامة، وغالباً ما يستعمل المنهج الإستقرائي في عمليات التجريب والعلوم التجريبية .

- 4 - الاستنباط DÉDUCTION

منهج استدلالي ، ينطلق من حقائق يقينية أو بديهية أو مسلّم بها ، لإستنتاج قضايا أخرى ، تنتج منطقياً عنها، دون الحاجة الى التجربة ، ويعتمد الاستنباط غالباً على القياس المنطقي . وقد يستعمل الاستنباط عن معرفة أو عن جهل القياسات الخاطئة أو المُمَّوهة ويؤدي ذلك الى عملية التضليل .

- 5 - الأمبيفالونس النفسي :AMBIVALENCE

حالة الشعور المزدوج في النفس ، يمكن ان تشعر في آن واحد وفي حالة مُعيَّنة شعورين متناقضين ، هنالك طابع ازدواجي متأصّل في النفس الإنسانية (الحب والكره)، (الطهارة والدعارة) .

-6 - الأنالوطيقا : ANALYSE

التحليل في لغة العالم هو منهجية فكرية وعلمية، يقوم العقل بمقتضاياتها، بتفكيك مُكوّنات قضية أو فكرة إلى أجزاء وعناصر، بهدف إستيضاح وإستبيان جوهرها

والتعرف إلى مُكَوناتها وآليات عملها وخلفياتها.

التحليلات أو العلم التحليلي ، وكتاب التحليلات لأرسطو وهو من جملة أعمال ارسطو المنطقية ، ويشتمل هذا المبحث على: كتاب التحليلات الأولى *Les Premières Analytiques*. وعلى كتاب التحليلات الثانية، *Les Secondes Analytiques* ومن خلال الأنالوطيقا الأولى هاجم ارسطو السفسطائين ودحض استدلالهم معتبراً إياه إستدلالاً يقوم على مُقدِّمات كاذبة زائفة وعلى براهين مُمَوَّهة .

- 7 - الأنتيلوجيا : ANTILOGIE

جدلية سفسطائية تضليلية تقوم على خطاب مزدوج المعاني ، فحول كل أمر يوجد خطابان يناقض واحدهما الآخر .

- 8 -الانطولوجيا : ANTHOLOGIE

العلم بالوجود بما هو موجود ، وبالنسبة لأرسطو هي " الفلسفة الأولى " والأنطولوجي هو كل ما يتعلق بأصل وجوهر الكائن ، وبأصل القضايا الإنسانية المطروحة وجوهرها .

- 9 - الإيديولوجيا : IDÉOLOGIE

تطلق هذه التسمية على مجموعة من الاراء والأفكار في السياسة والأخلاق والدين ، وهي تعكس الحياة المادية للمجتمع وتطوّر معه ، وفي أغلب الأحيان تكون ناتجة عن وعي مزيّف ، وتكون في بعض الأحيان تبريراً عقلياً يخفي عن ذاته الحقائق الواقعية عند الإلتزام والإيمان بمسلماتها وبمبادئها ، تصبح الإيديولوجيا سلاحاً صراعياً يسمّى " السلاح الإيديولوجي " وهو سلاح صراعي معنوي

وفكري يوازي بفعاليّته السلاح المادي .

- 10 - الباليونتولوجيا : PALÉONTOLOGIE

هو العلم الذي يبحث عن البقايا المتحجرة للكائنات الحيّة .

- 11 - البرغماتي أو البراغماتية : PRAGMATISME

يتأصل معنى البرغماتية من كلمة " البراغما " اليونانية ، التي تشير الى فعل بمعنى العمل والعملي ، يقوم المذهب البرغماتي على عدة معايير أهمّها : أن الأفكار الصحيحة هي الأفكار الناجحة، والنجاح يرتبط بالنفع ، وبالتالي فإن صحتها أو فسادها مرتبط بالنفع والاستفادة والمصلحة ، فكل كذبة نافعة هي حقيقة ، وكل مبدأ أخلاقي غير نافع ليس هو بحقيقة . البرغماتية هي فلسفة الغرضية تتوسل العمل لغرض مُعيَّن يؤدي الى الغرض المطلوب ، وهي فلسفة ذرائعية تتوسل كل الوسائل والذرائع للوصول الى تحقيق المنفعة .

- 12 - البرهان المّوه : SOPHISMA

البرهان هو إقامة الدليل الحسّي أو العقلي على صحة رأي أو قضية . والبرهان المموّه هو المتستر بحجج غير صحيحة ومزيّفة ولا تستند الى أية أدلّة حسّية أو عقلية . فلا تطابق فيه بين الكلام والواقع . ومثال ذلك ، البرهان الذي يعتمد في إقناع الآخرين على البلاغة والفصاحة التي لا تؤدي الى الوصول الى الأحكام اطلاقاً، أو انها توصل الى احكام مضلّلة (بكسر اللام)، أو انها تتحوّل الى جمَل فارغة المضمون تستبعد الشواهد الواقعية ، ويظهر ذلك في البرهان الشعري أو البرهان البلاغي الذي يتستّر بالتوريات والإستعارات . وغالباً ما يستعمل هذا البرهان في عمليات التضليل السياسي والإجتماعي والأخلاقي . ويستعمل

البرهان المموّه إستدلالات وقياسات مموهة، لها شكل صحيح في ظاهرها، ولكنها تؤدي إلى نتائج باطلة، ويهدف هذا الإستدلال إلى إقناع الناس إقناعاً تضليلاً، والبرهان المموّه يركن غالباً إلى «المغالطة» وهي آلية تضليلية، ترمي إلى الإيقاع في الغلط، في قضايا تشبه الصواب وهي ليست صواباً وفي قضايا تشبه الحق وهي ليست بحقيقة، أنها تضليلٌ لها.

- 13 - بريبون : PRÉPON

كلمة يونانية الأصل ، هي مرادفة للمصطلح الفرنسي Convenable أي "ملائم " وقد استعمل السفسطاني غورجياس تقنيات الملائمات ، من خلال طرقه التضليلية المُمارَسة بواسطة اللاغوس الكلامي المُوارِب والإقناع بحسب الظروف ووفق المناسبَات؛ فالتكيّفية التضليلية تفترض مطابقة الكلام الموارب للظروف المواربة لإنتهاز الظروف السانحة والمناسبَات الخصبة . وهذه التقنية غالباً ما يستعملها الخطباء المُضلّلون (بكسر اللام) ويُطلقون عليها تسمية " فن ارتجال الخطابات " .

- 14 - البسيكاغوجيا : PSYCHAGOGIE.

تعني " البسيخي " في اللسان اليوناني النفس و " أغوغوس " معناه القائد ، فتصبح هذه العبارة تعني فن قيادة النفوس وتوجيهها بواسطة الإقناع والتضليل والسيطرة .

- 15 - البولس : POLIS.

تعني في اليونانية الدولة ، وقد تعني المدينة أيضاً ، وقد وردت بهذا المعنى الأخير في موضوعين أو ثلاثة في كتاب " السياسة " لأرسطو ، ومنها اشتقّت كلمة

(بوليتيكوس) أي السياسة .

- 16 - البينذاتية : INTERSUBJECTIVITÉ

هو إصطلاح منقول عن الفرنسي المركّب من كلمتين "inter" ومعناه الضمني، البيني و "Subjective" ومعناه الذاتي .

يدل هذا الاصطلاح على علاقة ضمنية في ذاتية شيء، أو في ذاتية معنى، أو فكرة . فيقال مثلاً ان العبارة تتضمن في تكوينها التناقض الذاتي ، كالقول ان الإنسان هو مخلوق أبدي لا يطاله الفناء .

- 17 - التضليل السياسي :(MANIPULATION POLITIQUE)

مجموعة من الطرق والوسائل والآليات (الكذب ، الخداع ، التمويه ، التلفيق ، الغموض ، التعميّة ، المناورة الخ ...) والمستخدمة في السياسة ، التي تؤدي الى تضييع وتحيير وتعقيد المضلًّل (بفتح اللام)، والتلاعب بمكوّناته العقلية والسيكولوجية والمعنوية ، وبالتالي الى توجيه سلوكه السياسي تبعاً لمصلحة المضلِّل (بكسر اللام)، قد يكتشف المضلًّل (بفتح اللام) التضليل بعد فوات الأوان. وأشد طرق التضليل ممارسة في السلطة، التضليل الكلامي. وهو مجموعة من الطرق والآليات الكلامية التي تُستخدَم ، بهدف التأثير على نفوس وعقول ومَسلكيات الجماهير ، ويحتال التضليل الكلامي على إرادات الجماهير ويتلاعب بها، ويقودها حسب مشيئته لا حسب مشيئتها ، ويعمل ضد مصلحة المُضلًّل (بفتح اللام) ومن النماذج التي يستعملها نذكر مثالاً لا حصراً :

- الكلام التضليلي القووي (التهويل والتهديد) .
- الكلام التضليلي الاجتذابي (الإغواء ، التملق ، الديماغوجية)
- الكلام التضليلي التحريضي (التحريض ، الثوير ، التهييج)

- التضليلي الدلالي (السيمنطيقي) الذي يتلاعب بالدلالات الكلامية للخطاب

- 18 - الحرب السيكولوجية : LA GUERRE PSYCHOLOGIQUE

السيكولوجيا تدرس ظواهر النفس للكشف عن قوانينها ، أما الحرب النفسية فهي مجموعة من العمليات السيكولوجية، الهادفة الى التأثير في الجانب النفسي للعدو بغية الإيذاء او القتل النفسي ، أو بهدف تحطيمه معنوياً بِشَلّ قدراته النفسية لإخضاعه والسيطرة عليه . ومن بعض آليات هذه الحرب : التهويل ، التخويف ، إثارة القلق ، استعراض القوّة . وتُمارَس الحرب النفسية غالباً عبر وسائل الإعلام والدعاية وتُعوِّل على " الكلام والمَشهد " . وتسمى في بعض الأحيان الحرب الدعائية وهي مجموعة من العمليات الدعائية والإعلامية، التي يشُنها الخصم ضد خصمه عبر وسائل الدعاية كافة: المرئية منها والمسموعة ، المكتوبة ، المقروءة ، المتلفزة ، وهي تهدف الى ضرب المعنويات ، ومن بعض آلياتها : التشويه ، التعمية، الكذب ، الاختلاق ، الخداع ، التمويه ، وهذه الحرب هي مُتمّمة للتضليل السياسي وللحرب السيكولوجية .

- 19 - الديماغوجيا .DÉMAGOGIE

طريقة في التضليل السياسي، وهي مجموعة من الأساليب الكلامية الملتوية، وضروب من المجاملة والمداهنة والتملّق والتكيُّف، تهدف إلى التودد من الجماهير ومسايرتها، بغية خداعها وتضليلها والسيطرة عليها.

- 20 - الديناميس : DYNAMIS

يغلب على هذه الكلمة في اللسان اليوناني معنى القوة المادية (Force Physique) ويرادفها البعض بمعنى (Puissance) أي القدرة ،

وهنالك تمايز بين المفهومين لأن القدرة هي قوة لم تتحقق، أمّا القوة المادية فهي تتحقق عملياً وحسيّاً. لذلك آثرنا مرادفة كلمة ديناميس بالقوة بدل القدرة .

- 21 - الذوكسا ، الرأي : DOXA.

يعني الذوكسا في اليونانية " الرأي " و " الظن " ، وهو يحمل في جوهره إمكانية الريب والخطأ والتخمين والشك ، والانخداع .

ويقال الرأي العام المحلي ، الأقليمي ، والدولي او العالَمي . وهو كناية عن الصفات السيكولوجية التي يشترك فيها جميع أو بعض الناس، في وطن ما، أو في اقليم ما، أو في سائر الدول حول قضية ما ، فيقال مثلاً إن الرأي العام الدولي يكره الحروب، لجهة التمنيات والآمال على المستوى النظري المجرّد العديم الفعاليّة ، لأن الرأي العام العالمي هو مستحيل التحقق ، لوجود عالم تتقاسمه القوميات والاثنيات ، والطوائف ، والمذاهب ، والعقائد ، والإيديولوجيات والمصالح المختلفة والمتناقضة والمتضادة .

ان الرأي العام في أية دولة يقاس بمفاعيله الواقعية، ومن العوامل المُؤَثِّرة بالرأي العام ، الدعاية بسائر تمظهراتها، والإعلام بكافة وسائله وعمليات الإقناع الكلامي والمشهدي، كما بسائر وسائل الإتصال المتطورة .

وتبقى عمليات التأثير بالرأي العام، تضليلاً له، في حال لم يتطابق الإقناع الكلامي مع التطبيقات الفعلية الواقعية حيث يقترن القول بالتنفيذ .

ـ 22 ـ السيميولوجيا : SÉMIOLOGIE

تعني "السيميون "في اليونانية ، الإشارة أو الدلالة ، و "اللوغوس" "LOGOS"، العلم ، فتصبح السيميولوجيا علم الدلالات والإشارات ، ويطلق عليها أيضاً في اللغة العربية "السيمائية" . إن السيميولوجيا هي محاولة

علمية لدراسة طبيعة الإشارات وجوهرها وبنيتها ودلالاتها والقوانين المتحكمة بها ، وهي لا تقتصر فقط على دراسة الدلالات والإشارات اللغوية والألسنية والكلامية ، إنما تدرس أيضاً سائر الإشارات والدلالات المتمظهرة في الصور والألوان والإيماءات والمسرح والرموز والتصوير والسينما ، كما أنواع الرسوم ولغة الجسد ، وبشكل عام تدرس كل الإشارات والدلالات الموجودة في الحياة الاجتماعية ، كما الإشارات والدلالات الناجمة عن السلوك الحيواني ، وتستعمل أيضاً في فك رموز الشيفرة ، وتستخدمها أيضاً التأويليات في سائر مجالاتها .

- 23 - الشكيّة الارتيابية : SCEPTICISME

الشاك هو من يكتفي بأن يرى ، ويرفض أن يحكم ، والشكيّة هي حالة من الشك، والتشكيك الإرتيابي هو مذهب يرفض أن يثبت أو ينفي ، وبالتالي أن يصدر حكماً .

-24 - طوبيقا ، مَوْضع، TOPIQUE:

في الاستعمال المنطقي عند " ارسطو " ، الموضوع هو المرتبة التي يقع فيها الكلام او تقع فيها الأدلّة، وقد بيَّن هذه المراتب في كتاب " طوبيقا " أو " المواضع " وهي من ضمن أجزاء " الخطابة " أو " البلاغة " وهو أحد اقسام " الأرغانون " ، والأرغانون أي الوسيلة ، هو جملة أعمال أرسطو المنطقية ، وقد أطلقت هذه التسمية على أعمال أرسطو بمعنى ان الأرغانون هو وسيلة العلم وموضوعه الخاص بل هو العلم بعينه ، وقد سمِّيَت هذه الأعمال فيما بعد " اللوجيك " أي المنطق ، وربما كان أندرونيكوس الروديسي احد شرّاح أرسطو أول من استخدم هذا اللفظ .

- 25 - العدميّة : NIHLISME

مذهب ينكر في الأخلاقيات وجود القيَم الأخلاقية ، وفي الفلسفة ينكر كل وجود. " من المستحيل إثبات الحقيقة " " ولا يوجَد شيء ". اعتمد هذا المذهب بعض فلاسفة الحركة السفسطانية في عمليات تضليل الشعب في البولِس اليونانية .

- 26 - الفار ما خون : PHARMAKON

كلمة يونانية الأصل. لدى السفسطاني غورجياس ، الفارماخون يعني السُّم الذي يقتل ويداوي حسب استخدامه ، وقد ماثل الكلام بالسم ، فالكلام يُسمِّم ويقتل النفوس، إذا استخدم طرائق التخويف والتهديد والتهويل وأيضاً يداوي النفوس إذا استخدم طرائق اللين واللطف والمودّة . والجدير ذكره ان السفسطاني غورجياس هو مصدر مهم للعلوم السيكولوجية ، التي تركن الى المداواة بالكلام، لا بالأدوية، لمعالجَة المصابين بالأمراض السيكولوجية .

- 27 - القرينة : PRÉSOMPTION

أداة إستدلال ينطلق منها المُستدِل من واقعه معلومة للاستدلال عن واقعة مجهولة ، أو مشكوك فيها .

- 28 - القووية : QUI UTILISE LA FORCE

التي تستخدم القوة ، نقول مثلاً العدالة القووية أي تلك العدالة المموّهة التي تكون غطاء لأعمال القوة . والكلام القووي ، الكلام الذي يستعمل القوة ، كالتهديد ، التخويف ، التحريض .

- 29 - كيروس (KÉROS) - كيروسكوبيا (KÉROSKOPIA) - كيروسكوبوس (KÉROSKOPOS).

يفيد معنى كيروس في اللسان اليوناني الوقت، والظروف الخصبة المُناسِبة كما يفيد معنى الملاءمة. أما معنى كيروسكوبيا في اللسان اليوناني، فهو يفيد معنى الانتهاز أو التحيَّن أو إغتنام الفرص ، وعليه يصبح معنى كيروسكوبوس ، المنتهز والمُتحيِّن أو مغتنم الفرص .

إن فلسفة الانتهازية اول من نظَّر لها وطَبَّقها هم أعلام الحركة السفسطائية ، وخاصة غورجياس .

- 30 - اللوغوس : LOGOS.

يُعتقد ان أول من بحث في مسألة اللوغوس هو الفيلسوف اليوناني هيراقليطس. اللوغوس بالنسبة له هو كل شيء ، هو النظام الكوني ، هو الاعتدال ، التناسب ، النظام الأبدي الثابت والكوني الوحيد للأشياء ، انه القوة المُحرِّكة ، وتَطوَّر مفهوم اللوغوس، فأصبح يعني القول والكلام والنطق ، والمعنى ، والعقل ، والعلم .

أما في الفلسفة الأفلاطونية والأفلوطينية (افلوطين)، هو كائن مُجَرَّد من المادة، وهو مُنظِّم الكون بواسطة النفس الكليّة .

في اللاهوت المسيحي " الكلمة " كلمة الله أي المسيح .

- 31 - اللوغوس السفسطائي : LE LOGOS SOPHISTIQUE

يعني عند بعض اعلام الحركة السفسطائية، الكلام والتلاعُب الكلامي والدلالي بالألفاظ والمعاني والاستعارات ، واستعمال المُتناقِضات الكلامية ضمن المقولة الواحدة ، وهو حركة تغليب الأفعال القولية الكلامية النطقية اللفظية الصوتية

على العمليات العقلية التفكيرية ، وتَطوّر اللاغوس الكلامي ليجد تطبيقاته العملية بأساليب الخطابة والفصاحة والبلاغة، التي كان يمارسها السفسطائيون في المُجتمَعات اليونانية، حيث أصبح سلطة الإقناع والخداع والإغواء والتضليل .

- 32 - المترون انثروبس : MAITRON ANTHROPOS .

" الانثروبس " في اللسان اليوناني هو الإنسان " والميترون " في ذات اللسان يعني المسيطر ، وقد أطلق هذا القول، زعيم الحركة السفسطائية بروتاغوراس، وقد استمدّه من الأساطير والميتولوجيا اليونانية (سوفوكل ، بندار ، كزيفون) كما ورد هذا القول عند هيراقليطس، وقد استلهم نيتشه مفهوم "السوبرمان" من "المترون انثروبس".

- 33 - النسبية السفسطائية : LE RELATIVISME SOPHISTI QUE

قاعدة فلسفية ، كان يستخدمها بعض السفسطائين في عمليات التضليل السياسي والأخلاقي ، وتقوم هذه القاعدة على ان الإنسان هو مقياس جميع الأشياء ، والإنسان مُتغيّر ، والمقاييس مُتغيِّرة ، وان الانطباعية بآليات الأدراك الحسّي، هي مصدر الأحكام ، وهي تعكس حكم الأحاسيس والإنفعالات المناقضة للأحكام الموضوعية .

- 34 - الهرمونطيقا: HÉRMENEUTIQUE التأويل أو التفسير .INTEPRÉTATION

وردت في اللسان اليوناني عند ارسطو بعبارة P ERI HÉRMENIAS (باري هرمينياس)، وهذا عمل من الأعمال الفكرية لأرسطو، وهو من جملة ما أطلق عليه " الأورغانون " أو " الوسيلة " كما أسلفنا الذكر ، وهذا العمل

هو رد على " الهرمونطيقا " السفسطائية، الهادفة الى تضليل الجماهير، والتي تعتمد النزعة الذاتية لا الموضوعية في تفسير القضايا والأمور ، فلا يوجد بالنسبة للحركة السفسطائية معيار موضوعي للحقيقة ، فالتأويل أو التفسير يحصلان حسب الأهواء والشعور والأحاسيس، أو حسب التمنيات السيكولوجية بحسب المنفعة والمصلحة .

وهذا المصطلح عند الفلاسفة المعاصرين يُستعمل في استخدامية تفسير أو تأويل النصوص ، فهنالك منهجية التأويل بالرأي، المنطلقة من تفسير القضايا انطلاقاً من المواقف والتمنيات الذاتية والسيكولوجية ومنهجية التفسير الموضوعي التي تعتمد في شرح القضايا وتفسيرها على طرائق الإثبات وجمع الأدلة والبراهين. ويستعمل التأويل في شرح الحقائق الواقعية ، وفي تفسير الفنون على أنواعها، كما في تفسير النصوص، وأيضاً في عمليات التضليل الكلامي .

- 35 - اللا أدرية : AGNOSTICISME

مصطلح يطلق على مجمل المذاهب الفلسفية الشديدة الإختلاف في ما بينها ، والتي تسلّم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها .

مَسرد المصادر والمراجع

أ ـ باللغة العربية

* أبو حاقة أحمد ، المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي ، دار المنار للطباعة والنشر ، د. ت. - بيروت
* أبو زيد نصر حامد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي بيروت ، 2001 .
* أرسطو طاليس ، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، حقّقه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ودار العلم ، 1979 .
* أرسطو في السياسة ، نقله من الأصل اليوناني الى العربية وقدّم له وعلّق عليه الأب أوغسطينس بربارة البولسي ، ط 3 ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1980 .
* إمام عبد الفتاح إمام ، المنهج الجدلي عند هيغل ، دراسة لمنطق هيغل ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، 1966 .
* أمبرتو ايكو،

- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000.
- العلامة، تحليل المفهوم التاريخي، ترجمة سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2007.

* بلانشي روبير، المنطق وتاريخه حتى راسل ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزرع ، بيروت 1980 .
* جيمس وليم ، البراجماتية ، ترجمة محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، 1965 .

* حامد خليل، المنطق البرغماتي عند تشارلز بيرس مؤسس البرغماتي، دار الينابيع دمشق 1996.

* الدبّاغ مصطفى ، المرجع في الحرب النفسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1988.

* دورندان غي ، الدعاية والدعاية السياسية، ترجمة رالف رزق الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1986 .

* ريكور بول ، نظرية التأويل ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 2003 .

* سعد بسّام ، في الدعاية السياسية ، تاريخ ومضمون، شركة فوراس ، بيروت ، ط 1 ، 1992 .

* سون زي، فن الحرب، تعريب وإعداد العميد الركن سمير الخادم والعميد الركن هونغ شاينغ، مؤسسة دار الريحان للطباعة والنشر، بيروت، 1998.

* سنتيانا جورج ، قصّة الفلسفة من أفلاطون الى جان ديوي ، ترجمة فتح الله محمود المشمع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1975 .

* عبد القادر حاتم محمد ، الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993 .

* غصن أمينة ، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقّي ، دار الآداب، بيروت ، ط 1 ، 1999 .

* غيث جيروم ، أفلاطون ، جدلية الفساد والصراع الطبقي ، جدلية المُثل والمشاركة، جدلية الإصلاح والحرية والوحدة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1970 .

* فضل الله مهدي ، مدخل الى علم المنطق التقليدي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979 .

* قربان ملحم ، المنهجية والسياسة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، 1986 .

القعود محمد عبد الرحمن، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، عدد 279، 2002.

* كابفيرير جان ـ نويل، الشائعات، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي بيروت، 2007.

* كانط عمانوئيل، نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ترجمه وقدّم له نبيل الخوري، دار صادر ، بيروت، 1985.

* كسيديس ثيوكارس ، هيرقليطس ، ترجمة حاتم سليمان، دار الفارابي، بيروت ، ط 1 ، 1987 .

* كلاوس جورج، لغة السياسة، ترجمة ميشال كيلو، دار الحقيقة ، بيروت ، ط 2.

* لوبون غوستاف ، سيكولوجية الجماهير ، ترجمة هشام صالح ، دار الساقي ، بيروت، 1991 .

* ماكوفلسكي الكسندر ، تاريخ علم المنطق ، نقله الى العربية نديم علاء الدين ، إبراهيم فتحي ، دار الفارابي ، بيروت ، 1987 .

* مفتاح محمد المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، وبيروت 1994.

* هارل ليدل، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي دار الطليعة بيروت، 1978.

* نخلة روفايل ، (الأب) ، غرائب اللغة العربية ، دار المشرق ، بيروت ، ط 5 ، 1986 .

* نصر صلاح ، الحرب النفسية ، معركة الكلمة والمعتقد جزء 2 ، الوطن العربي ط 2 ، 1988 .

* نوفل أحمد ، الحرب النفسية ، الجامعة الاردنية ، كليّة الشريعة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، 1985 .

* يونان كلود، طرق التضليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) بيروت 2009.

ب ـ باللغات الأجنبية

* ABOU Sélim, **L'identité culturelle, Relation Interethniques et problèmes d'acculturation**, Paris, Anthropos, 3ème Hachette 1995.

* BREHIER Emile , **Histoire de la philosophie** , P. U. F. T 1, 1985

* CHARLES Sanders peirce, **Collected of charles Sanders Peirce**, 8vols, (Cambridge: Harvard University Press, 1958-1931.

* CHEVALIER jean – jaques , **Histoire de la pensée politique** payot paris , T 1, 1979 .

* DHERBEY Romer Gilbert, **Que sais – je ? les Sophistes**, P. U. F. 1985 .

* DILTHEY, **Le Monde de L'ésprit** , Traduction de M . Remy. édition Auber Montaigne , S. D.

* DURANDIN GUY, **Les Fondements du mensonge**, Flamarion, Paris, 1972.

* GOURÉVICH JEN PAUL, **LA PROPAGANDE DANS TOUS SES ÉTATS**, Flamarion France, 1981.

* RICOEUR Paul, **De l'interprétation, Essai sur Freud**, du Seuil, France, 1965 .

* TCHAKHOTINE SERGE, **LE VIOL DES FOULES PAR LA PROPAGANDE POLITIQUE**. GALLIM.ARD. PARIS, 1976.

* TRICOT, J, **Traité de la logique Formelle**, Troisième édition, Paris, Vrin, 1973 .

UMBERTO ECO, **A Theory of Semiotics, Advances in Semiotics** (Bloomington, Indiana University Press 1967.

* UNTERSTEINER Mario, **Les Sophistes,** traduit de L'Italien et présenté par Alonso TORDESILAS, préface à la traduction Française, Paris, Vrin, 2 Tomes, 1993 .

* VANCE PAKARD, **La persuasion Clandistine**, Traduit de l'américain par HÉLÈNE CLAIREAU, calmann-lévy. France, 1958.

* VOLKOFF Vladimir, **Les désinformations arme de guerre**, julliard/l'age d'home.

ج ـ لائحة بالموسوعات والقواميس والمعاجم باللغة العربية

* أيوب فرنسوا ، ترجمة قاموس لاروس الفلسفي لديديه جوليا ، مع تخريج وتعليل وتحليل نقدي ، أطروحة دكتوراه دولة ، بإشراف جبر فريد ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، 1981 .

* أبو عرقوب ابراهيم ، معجم مصطلحات الحرب النفسية ، الجامعة الاردنية ، قسم علم الاجتماع ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، 1982 .

* إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري الأفريقي ، لسان العرب، مكتبة صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

* جبر فريد ، العجم رفيق ، دغيم سميح ، جهامي جيرار ، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1996 .

* العجم رفيق ، موسوعة أصول الفقه عند المسلمين ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت،

. 1991

* ذكي بدوي أحمد ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1993 .

* صليبا جيل ، المعجم الفلسفي ، أجزاء عدد 2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 .

* عبد النور جبور ، إدريس سهيل ، المنهل ، قاموس فرنسي – عربي ، دار العلم للملايين . بيروت ، 1985 .

* الفقي محمد عبد الرحمن ، غليتيس فيليب ، قاموس يوناني – عربي ، مكتبة السائح، سوريا ، دون تاريخ .

* كامل عبد السيد صموئيل ، ثلاسينوس أرتيميس ، قاموس عربي – يوناني ، مكتبة لبنان ، 1995 .

* قاموس لاروس ، فرنسي – عربي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1993 .

* لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1996 .

* الموسوعة العسكرية ، مجموعة من الضباط في العالم العربي ، المسؤول عن التحرير المقدم الهيثم الأيوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج 1 ، ط 1 ، 1977 .

* الموسوعة الفلسفية العربية ، مجموعة الباحثين ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1988 .

* موسوعة كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون ، تقديم وإشراف ومراجعة العجم رفيق ، مكتبة لبنان ناشرون ، أجزاء عدد 2 ، 1998 .

* المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، 1968 .

د ـ الجرائد والمجلات والمقالات :

* جريدة الحياة .

*مقالة بن راشد بن أحمد، قوة الوصف، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، المجلّد 32 ، يوليو - سبتمبر ، 2003 .

* مقالة للدكتور كوثراني وجيه ، أسطار وأسطارة وأسطورة ، وصلة التاريخ بالأسطورة ، جريدة الحياة ، 5 نيسان 2001 .

* مقالة لعثمان عفيف ، بعنوان : « سلطة الغاوية» ، ملحق النهار ، 16 تشرين الأول 1999 .

هـ ـ لائحة بالموسوعات والقواميس باللغات الأجنبية

* GHASSANG . A . **Nouveau Dictionnaire Grec – Français** , Paris , Garnier Frère , Librairie – éditeur 1989 .

* KAZIMERSKI, **Dictionnaire Arabe – Français**, Librairie Du Liban, 2 tomes, Beyrouth, 1960 .

* LALAND André, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, P. U. F. 12 ème édition, 1979 .

* ROBERT paul, Petit robert, **Dictionnaire de la Langue Française, Paris**, 1989 .

- WEBSTER Merrian, **Webster's Ninth, New Collegiate**, Dictionary, Merrian-Webster Inc, Massachusetts, U.S.A., 1986.

الفهرس

الفصل الثالث


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

البحث في "التضليل الكلامي" هو أمر مهم ، والأهم من ذلك ، هو الغوص في أغوار "فلسفة التضليل الكلامي"، التي تحيل القارئ والمتخصص الى الإطلاع على بعض أهم الأسس الفلسفية الثابتة النظرية منها والعملية المكوّنة "للتضليل الكلامي" من خلال بعض اتجاهات "الحركة السفسطائية" التي انطلقت في تأسيس فلسفتها من منطلقات، خاصة بها، نذكر أهمها "القوّة" بسائر تمظهراتها، وخاصة تلك الكلامية المقترنة "بالتضليل" الذي تعتبره "إلهاً" و "مقدّساً" . ان "التضليل الكلامي" الذي مارسته هذه الاتجاهات قديماً، ما زال هو ذاته يزاول اليوم بشدّة مع تطوّر وسائل الإتصال ، فهو يستخدم في الحروب السيكولوجية والسياسية والإعلامية والدعائية والاستخباراتية والديبلوماسية وفي صراعات التغيير الفكري والعقائدي ، والإيديولوجي. الكلام يمارس قوته السحرية الإغوائية ، العنيفة والمتسلّطة ، يحرّك ، يؤثر ، يهوّل ، يخوّف ، يُقنع ، يتلاعب بالعقول والعواطف والشعور والغرائز والنفوس ، يُثوّرها ، يُغضبها ، يُفرحها ، يُحزنها ، يحرّضها ، يشوّقها ، يداويها ، يدمّرها ، يقتلها . والكلام قد يضلّل سلوكنا ، وقد نضلّل به سلوك الآخرين .

د. كلود يونان: محامٍ في الإستئناف. نقابة المحامين في بيروت

محاضر سابق في كلية الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية

يحمل

- دكتوراه فئة أولى في الفلسفة والعلوم الإنسانية من جامعة الروح القدس - الكسليك - لبنان.
- دبلوم دراسات عليا (DEA) في الفلسفة العامة من الجامعة اللبنانية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) الفرع الثاني.
- الإجازة في الفلسفة العامة - الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني.
- الإجازة في الحقوق - الجامعة اللبنانية (كلية الحقوق والعلوم السياسية) - الفرع الثاني.
- له عدة مؤلفات في الفكرين الفلسفي والسياسي أبرزها

طرق التضليل السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2009


ISBN 614-402-364-8

9 786144 023648